# مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد العاشر - السنة الخامسة. رجب ١٤٤٢هـ / فبراير ٢٠٢١م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

## موضوعات العدد:


- تدبر القرآن الكريم وآثاره
  محمد الأمين أمير — د. جمال أحمد بشير بادي
- مظاهر نعمة الطريق في ضوء سورة النحل
  د. محمود بن عبد الجليل روزن
- الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة «دراسة تحليلية»
  د. محمد وسيم خان
- آيات الأخذ بالبأساء والضراء في سورة الأنعام (٤٢-٤٥) «تفسير واهتداء»
  د. مسعد بن مساعد الحسيني
- الإشارات لما في مقدمة الشاطبية من الآداب والتوجيهات
  د. طارق بن سعيد أبو ربعه السهلي الحربي
- تقرير رسالة علمية بعنوان:
  تدبر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيم رحمه الله «دراسة تأصيلية»
  للباحث: عبد العزيز بن حسين الوثلان
- تقرير عن مجلة تدبر خمس سنوات (١٤٣٨-١٤٤٢) / (٢٠١٦-٢٠٢١)
- تقرير عن ملتقى التفسير الأول بدولة الكويت «مشاني»
  التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مجلة تدبر

# مَظَاهِرُ نِعْمَةِ الطَّرِيقِ فِي ضَوْءِ سُورَةِ النَّحْلِ

د. مَحْمُود بْن عَبْد الجَلِيل روزن

قدم للنشر في: ١٤٤١/٨/٢٢
قبل للنشر في: ١٤٤١/١١/١٨
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

◆ مُقرئ وباحث في التفسير وعلوم القرآن.

◆ حاصل على الشهادة العالية في القراءات من معهد القراءات التابع للأزهر الشريف.

◆ **بعض نتاجه العلمي:**

- زاد المجيز والمجاز في القراءة والإقراء.
- وقف التدبُّر: معناه، وأنواعه وأحكامه.
- مقاربة تنظيرية لعلم تحفيظ القرآن الكريم.
- وقف البيان في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية.
- الحفظ في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية، لموسوعة التفسير الموضوعيّ.
- العزم في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية، لموسوعة التفسير الموضوعي.
- رحمة القرآن؛ ماهيتها، وسبل استنزالها واستثمارها تربويًّا ودعويًّا.
- الضمان الرباني لتعاهد القرآن الكريم.
- تقدير الاستفهام في القرآن الكريم.

◆ البريد الشبكي: dr.mah2011@gmail.com

مجلة تدبر

# ملخص البحث


تُعَد نعمة الطريق من أعظم نِعَم الله ﷻ علىٰ البشر. وقد عُقِد هذا البحث علىٰ تَتبُّع إشارات سورة (النَّحْل)، واتخاذها مُنطلقًا لاستنباط وجوه نعمة الطريق كما ذَكَرها القرآن الكريم.

## أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه محاولة للقيام بحق تدبر القرآن الكريم، بتعميق الفكرة في نعمة الطريق، وتعديد وجوهها ومعالمها؛ فاستظهارها سبيل شكرها.

كما أنه محاولة لبيان أن آيات الوحي دليل الآيات الكونية، وأن العلم الصحيح لا يمكن أن يُعارِض الوحي؛ بل يُصَدِّقه، فمُنْزِل الكتاب هو خالق الكون، وهو سبحانه علىٰ كل شيء قدير، وقد أحاط بكل شيء علمًا.

## أهم النتائج:

وقد استَنبط الباحث ثمانية أوجه لنعمة الطريق، في ضوء ما أثمره التأمل في القرآن الكريم، من خلال سورة (النَّحْل):

أ- تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها.

ب- تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها.

ج- نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.

د- الهداية بالكائنات إلىٰ السبل غير الظاهرة.

هـ- انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر.

و- تذليل السبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما يَنفع البشر.

ز- جَعْل الطريق الحسي دلالة علىٰ الطريق المعنوي.

ح- تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم.

## أهم التوصيات:

١- تَبنِّي العلماء والباحثين والدعاة تثوير وجوه النِّعم وتَدبُّرها في القرآن الكريم، وتقريبها لعموم المسلمين. وكثيرة هي النِّعم الحقيقة بذلك في القرآن الكريم، وخصوصًا سورة (النَّحْل) كنعمة الوحي، ونعمة تسخير الحيوانات، ونعمة الحواس.

٢- مَسَّ البحثُ بعض الموضوعات الأخرىٰ التي يرىٰ الباحث أنها حقيقة بدراسات مستقلة مُعمَّقة، كدلالة الفرائد اللفظية علىٰ مقاصد السور القرآنية، وتوجيه فرائد المتشابه اللفظي في ضوء مقاصد السور، ودراسة منهج القرآن الكريم في العبور من المعاني الحسية إلىٰ المعاني المعنوية.

**الكلمات المفتاحية:** التدبر، سورة النَّحْل، النِّعم، نعمة الطريق.

# Manifestations of the Blessing of Prepared Paths in the Light of the Surah Al Nahl

Prepared by:

**Mahmoud bin Abdel-Jaleel Rozan**(1)

A Quranic recitation teacher and researcher in Tafseer
and the Sciences of the Quran
He holds a high certificate in Quranic Recitation from Al-Azhar,
Institute of the Quranic Methods of Recitatio
Email: dr.mah2011@gmail.com

## Abstract

The blessing of paved routes and paths are among the great boons which Allâh confers upon humankind. This research was conducted to explore the indications of the Surah Al Nahl and take it as a springboard for discovering the various aspects of the convenience of paved paths as referred to by the Noble Quran.

### Importance of the topic:

The importance of the topic stems from the fact that it is an attempt to contemplate the Noble Quran as duly and deeply as required, explore the boon of paved paths and its various facets and features to show gratitude for it. The relevance of this paper comes also from the fact that it demonstrates that the Quranic verses embody cosmic indications and that true science never conflicts with divine revelations. Rather it lends credence to them because it is the Creator of the universe who brought them down and whose omniscience encompasses everything.

(1) He holds a high certificate in Quranic Recitation from Al-Azhar, Institute of the Quranic Methods of Recitatio Email: dr.mah2011@gmail.com

## Main findings:

*The researcher concluded eight aspects of the blessing of paved paths in light of the Surah Al Nahl as follows:*

A. Making the earth extendedly flat and usable.
B. Creating utilizable routes in land, sea, and air.
C. Setting up landmarks and signs for guidance in various roads and paths.
D. Other living creatures guide to invisible paths and ways.
E. The consistency and uniformity of the universal laws and subjecting them for the benefit of humankind.
F. Converting other creatures and beings to the use of humans.
G. Making the tangible path evidence for the intangible path.
H. Generating hopes in people's souls by pointing out that their paths will be facilitated for them in the future.

## Main Recommendations

1. Scholars, researchers, and Muslim preachers should carefully examine Allah's blessings as reflected in the Quran and present them to ordinary Muslims in a simple manner. There are too many blessings that need to be considered in the Noble Quran, especially those which are contained in the Surah Al Nahl such as divine revelations, serviceable animals and the five senses.
2. The researcher raised other subjects and stated that extensive separate studies should be conducted on them such as the indications of single vocabularies with respect to the objectives of the Surats of the Quran, clarifying the meanings of the ambiguous vocabularies according to the objectives of the Surats and studying the Quran's methodology in moving from tangible meanings to intangible ones.

**Keywords:** Contemplation,Surat, An Nahl, Blessings, Quran, Paved, Paths.

## المقدمة

إن لله الحمد، نحمده علىٰ عطائه الممتد، حمدًا بعدد كلماته التي لا تنفد، والحمد لله علىٰ تيسير الحمد؛ فلا يُوفِي تتابعُ المحامد تتابعَ المحامد، ولكن حَسْب المريد قول ربه: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] وأشهد أَنْ لا إله إلا الله، ذي الحُجة البالغة، والنعمة السابغة، والفضل المبين، وأشهد أن محمدًا عبده المصطفىٰ، ورسوله المجتبىٰ ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

**وبعد**، فما انفك العبيد يتقلبون في نِعَم الله الحميد، ولم تزَل عطاياه تغمرهم، وآلاؤه تَبْهَرهم، وهم بين حامد وجاحد، ويقظ وغافل.

وقد بَيَّن الله ﷻ أن نِعمه من حيث ظهورها تنقسم قسمين: ظاهرة وباطنة، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

**والبشر يتفاوتون في استظهار النعم**، فكم نعمة ظاهرة لا يَعُدها الغافل نعمة، وقد تخفىٰ مواقع النِّعم علىٰ عبد، وتتراءىٰ جلية لآخَر، وقد تخفىٰ علىٰ العبد نفسه في حال، وتَظهر في حال؛ فيَتنبه لها بعد أن كان جاهلًا، ويَتيقظ بعد أن كان غافلًا. وقد يرىٰ ذو اللُّب البصير للنعمة الواحدة وجوهًا متعددة.

**فالتدبر طريق الوقوف علىٰ النِّعم والبصر بمواقعها**؛ ولذا كثيرًا ما تُختَم آيات النِّعَم بنحو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤]، ونحو هذا في القرآن كثير.

والتدبر تَفكُّر مجدود يستحضر الـمُغيَّب المفقود فكأنه مشهود، وكأن الناظر إليه من شدة استحضاره له ينظر إليه مُقبِلًا فمُدبِرًا، فتستوي عنده قوادمه وخوافيه. وهذا سبيل استظهار النِّعم الباطنة، واستظهارُها سبيل شكرها. ومن التدبر أن يَنظر المرء في دبر الأمر فيرىٰ التصريف في العطاء، والتخويف في المنع، وكلاهما نعمةٌ حَقُّها الشكر.

وإن نعمة الطريق من أعظم نِعَم الله علىٰ بني آدم، ولا يقف علىٰ ذلك إلا مَن تأمله، وكَرَّر النظر في آيات القرآن الكريم وأحاديث الـمصطفىٰ ﷺ.

**وفي أثناء مشروع لتَدبُّر الأذكار المُوظَّفة، سَنَحَتْ لي فرصة الوقوف مع أدعية الركوب**، فتجلت لي بعض معالم نعمة الطريق، ووجَدتُّ أن البصر بها وبوجوهها من أفضل ما يُعِين علىٰ القيام بحقها، فكان لتَدبُّر تلك الأذكار أثره في استظهار هذه النعمة، وكان لاستظهارها أثره في تدبر الأذكار علىٰ وجه مُرْضٍ.

ثم لاحظتُ أن سورة (النَّحْل) تُذكِّر بآية أو أكثر في كل وجه من وجوه تلك النِّعمة مُفصَّلة أو مُجمَلة، وليس هذا بغريب؛ فهي سورة (النِّعَم)، ومن هنا كان ميلاد فكرة ذلك البحث.

**وتتجلىٰ أهمية هذا البحث فيما يأتي:**

- محاولة القيام بقدر من حقّ تدبر القرآن الكريم تدبرًا موضوعيًّا مركبًا من نوعيه: تَدبُّر الموضوعات، وتَدبُّر السور.
- تثوير الفكر في نعمة الطريق، وتعديد وجوهها ومعالمها، فمع ظهورها ووضوح دلالتها، فإن بعض الناس ربما لا ينتبهون إلىٰ مواقع النعمة ومواضع العبرة فيها، فلعل استظهارها يُعِين علىٰ شكرها.

- محاولة الإسهام في تصحيح كثير من سلوكيات الطريق المنتشرة بين بعض المسلمين، في كثير من بلادنا، ولا شك أن آداب الطريق انعكاس لأخلاق المسلم.
- بيان أن الكتاب المسطور (القرآن) دليل الكتاب المنظور (الكون) وأنه مُرشِد إلىٰ أنواع العلوم والمعارف، وأن العلم الصحيح لا يمكن أن يُعارِض الوحي، بل يُصَدِّقه، فمُنْزِل الكتاب هو خالق الكون، وهو سبحانه علىٰ كل شيء قدير، وقد أحاط بكل شيء علمًا.

## الدراسات السابقة:

**في حدود مطالعتي لم أقف علىٰ بحث مُفْرَد يتناول نعمة الطريق من الزاوية التي يَنظر منها هذا البحث، غير أني وقفتُ علىٰ ثلاث رسائل ماجستير تتناول موضوع النِّعم في سورة (النَّحْل):**

**الأولىٰ**- بعنوان: «تسخير ما في الكون للإنسان علىٰ ضوء سورة (النَّحْل) وآثار ذلك في توحيد الخالق ﷻ» للباحثة زهرية محمد بن صالح الفاداني، نوقشت وأجيزت بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أُم القرىٰ، عام (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

**والثانية**- بعنوان: «النِّعم في ضوء سورة النَّحْل» للباحث إدريس حامد محمد، نوقشت وأُجيزت بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، عام (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).

**والثالثة**- بعنوان: «نِعم الله علىٰ الإنسان في ضوء سورة (النَّحْل) دراسة في التفسير الموضوعي» للباحث عبد اللطيف عبد الرحمن سليمان، نوقشت وأجيزت بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، بجامعة آل البيت، بالأردن، عام (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م).

وهذه الرسائل - علىٰ استيعابها لكثير من النِّعم المذكورة في ثنايا سورة

(النَّحْل)- لم تَستوفِ الكلام عن نعمة الطريق، بَلْهَ أن تُعالج معالمها ووجوهها بالطريقة التي نُظِم عليها البحث.

**ويمكن القول:** إن تلك الرسائل رَكَّزَتْ علىٰ الاستيعاب الأُفقي للنِّعم المذكورة بالسورة الكريمة، وهذا البحث يُركِّز علىٰ تعميق التدبر والتثوير لنعمة واحدة، محاولًا- قدر الإمكان البشري- استيعاب وجوهها ومعالمها.

## منهج البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهجين: الاستقرائي والاستنباطي، فجعلتُ سورة (النَّحْل) مُنطلقًا لتعيين وجوه نعمة الطريق كما ذَكَرها القرآن الكريم، واستنباط إشاراتها ولطائفها، مُتوسِّعًا حيث يَحسن التوسع، ومُختصِرًا حيث يَحسن الاختصار.

## خطة البحث:

وقد نُظِم البحث بعد هذه المقدمة علىٰ تمهيد استَهدف تعريف النعمة، وإبراز مَقصِد التذكير بالنعم في سورة (النَّحْل)، والتنويه بحق الطريق في الإسلام.

**وجاء لُب البحث في ثمانية مطالب، خُصَّ كل وجه من وجوه نعمة الطريق بمطلب، وهي علىٰ النحو التالي:**

**المطلب الأول:** نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها.

**المطلب الثاني:** تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها.

**المطلب الثالث:** نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.

**المطلب الرابع:** الهداية بالكائنات إلىٰ السبل غير الظاهرة.

**المطلب الخامس:** انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر.

**المطلب السادس**: تذليل السبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما ينفع البشر.

**المطلب السابع**: جعل الطريق الحسيّ دلالة علىٰ الطريق المعنويّ.

**المطلب الثامن**: تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم.

**ثم خُتِم البحث بخاتمة بأهم نتائج البحث وتوصياته.**

واللهَ أسأل أن يُخلص القصد، وأن يُوفِّق للوفاء به، وأن يرزقنا فَهْم القرآن وتفهيمه، وعِلمه وتعليمه.

**والحمد لله رب العالمين.**

## التمهيد

### ١- معاني النعمة، ومظاهر التذكير بالنعم في سورة (النَّحْل):

**من معاني النعمة في اللغة**: اليد الصالحة، والـمَسَرَّة، وما أَنْعَم الله به علىٰ عباده من مال أو رزق. ونِعمة الله: مَنُّه وعطاؤه. وجَمْعها: نِعَم.

والنَّعْمة (بفتح النون): ما يَتنعم به الإنسان من مأكل أو مشرب أو ملبس. ونَعمة العيش: حُسنه وغضارته. وجَمْعها: أَنْعُم[(١)].

**والنِّعمة في الاصطلاح**: المنفعة المفعولة علىٰ جهة الإحسان إلىٰ الغير. فالمَضَرة المحضة لا تكون نعمة. والمنفعة علىٰ غير جهة الإحسان ليست نِعمة، مع كونها نفعًا؛ كأن يَقصد الفاعلُ بالنفع نفسه لا نفع المفعول به، وذلك كمن أَحْسَن إلىٰ جاريته ليربح عليها. فكل نعمة نفع، وليس كل نفعٍ نعمة[(٢)].

وقد انتظمت سورة (النَّحْل) مقاصد متعددة، غير أن طابعها المميز تَعْداد نِعم الله ﷻ ومَشاهد عظمته، والتذكير بما يَسَّر الله ﷻ للناس من وسائل الرزق، وسَخَّر لهم من نواميس الكون؛ لإثبات استحقاقه وحده للعبادة، وإنذار الكافرين والمشركين الجاحدين والصادّين عن سبيله، وتبشير المؤمنين الشاكرين الداعين إليه[(٣)].

---

(١) انظر: (مادة نعم): كتاب «العين» للخليل بن أحمد (٤/ ٢٤٤)، و«جمهرة اللغة»، لابن دُرَيْد (٢/ ٩٥٣)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (٣/ ٩).

(٢) انظر: «التفسير الكبير»، لفخر الدين الرازي (١/ ٢٢٠).

(٣) انظر: «التفسير الحديث»، لمحمد عزت دروزة (٥/ ١١٥).

**فمِن أهم مقاصد سورة (النَّحْل) تَعداد نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده، وتذكيرهم بها؛ لأنها أعلام علىٰ وحدانيته ﷻ، ووازع إلىٰ شكره.**

**وقد تَجَلَّىٰ هذا المَقصِد في عدة مظاهر، نذكر منها:**

### ◆ أولًا- اسم السورة:

اسم السورة الكريمة عند السلف سورة (النَّحْل) وهو اسمها المشهور في المصاحف وكُتُب التفسير وكُتُب السُّنة(١).

**ووَجْه تسميتها بذلك**: أن لفظ (النَّحْل) لم يُذْكَر في سورة أخرىٰ(٢)، فهو من فرائدها اللفظية.

**وقيل**: إن في إلهام النَّحْل وذِكر هدايته إشارة إلىٰ قدرة الله ﷻ أن يُلهِم بعض خواص عباده أن يستخرجوا الفوائد الشافية من هذا الكتاب، بحمله علىٰ المعاني الشريفة المثمرة، الداعية إلىٰ تحصيل الأخلاق الفاضلة، وسلوك سبيل التصفية والتزكية. وهذا أكمل ما تُعْرَف به فضائل القرآن، وتُدرَك به مقاصده(٣).

فلما افتَتَح السورة الكريمة بذكر الوحي، ووَصَف في أثنائها سبيل الهداية، ونَوَّه بفضيلة التفكر والتذكر والتأمل والتعقل؛ لاستخراج وجوه النِّعم الباعثة علىٰ الشكر، واجتباء مكارم الأخلاق بالعدل والإحسان وبَذْل المعروف؛ جَعَل الكائنَ المصبوغ بهذه الفطرة الخالصة عَلَمًا علىٰ تلك السورة من الوحي. والله أعلم.

---

(١) انظر: «جمال القراء»، للسخاوي (١/ ١٩٩)، و«التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٤/ ٩٣).

وفي «**صحيح البخاري**» (ح ١٠٧٧): عن ربيعة بن عبد الله بن الهُدَيْر التيمي، أن عمر ﷺ قرأ يوم الجمعة علىٰ المنبر بسورة (النَّحْل) حتىٰ إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس ... الحديث.

(٢) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ٩٣).

(٣) انظر: «تفسير المهايمي» (١/ ٤٠٢).

**وقد يقال**: إن الله ﷻ جَبَل النَّحْل علىٰ العطاء، وهي من أكثر الكائنات نفعًا، وأعظمها بركة، وفي كل ما يُستخرَج منها منفعة، فناسب أن تُسمَّىٰ بها السورة التي عَدَّدَتْ ذِكر النِّعم.

**ومن اللطائف**: أن النَّحْل لغةً هو الإعطاء بلا استعاضة. والنِّحلة: العطية من غير بدل. وقيل: سُمِّي النَّحْل بذلك لأن الله ﷻ نَحَل الناس ما يَخرج من بطونها. وقيل: سُمِّي الدين نِحلة؛ لأنه عطية من الله ﷻ(١).

## ثانيًا- الأسماء الأخرى للسورة الكريمة:

اشتهرت سورة (النَّحْل) باسم سورة (النِّعَم).

**وفي قول الله تعالىٰ**: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [النحل: ٨١] **قال قتادة**: من الشجر ومن غيرها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل: ٨١] قال: غارات يَسكن فيها، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ مِنَ القطن والكتان والصوف ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ مِنَ الحديد، ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١] ولذلك هذه السورة تسمىٰ سورة النِّعم(٢).

**وعن علي بن زيد قال**: «كان يقال لسورة النَّحْل: سورة النِّعم». يريد لكثرة تَعداد النِّعم فيها(٣).

**وقال ابن رجب الحنبلي مُعلِّقًا علىٰ قول الله تعالىٰ**: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]: وهذه

---

(١) انظر: كتاب «العين»، للخليل بن أحمد (٤/ ٢٠٠)، و«معاني القرآن وإعرابه»، لأبي إسحاق الزَّجَّاج (٢/ ١٢)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (٥/ ٤٢)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٤٥١).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٢٩٥).

(٣) «زاد المَسِير في علم التفسير»، لابن الجوزي (٢/ ٥٤٨).

الآية أول ما عَدَّد الله من النِّعم في سورة النِّعم التي تُسَمَّىٰ سورة (النَّحْل) ولهذا قال ابن عُيينة: ما أَنْعَم الله علىٰ عبد من العباد نعمة أعظم من أن عَرَّفهم (لا إله إلا الله)[١].

**فهي سورة النِّعم لِما فيها من ذكر النِّعم**: في أولها أصول النِّعم التي لا تقوم الحياة إلا بها. وفي أثنائها كمال النِّعم وفروعها، ولاستيعابها أنواع منافع الخلق من أولها إلىٰ آخرها، ولكثرة ما نَبَّه الله ﷻ فيها علىٰ نعمه، وعَدَّد فيها من مِنته علىٰ خلقه[٢].

وقيل: سورة (الآلاء)[٣]. وقيل: سورة (النعيم)[٤]. وقيل: سورة (الامتنان)[٥].

وكل هذه الأسماء ظاهرة الدلالة علىٰ مَقصِد السورة الأول. والله أعلم.

---

(١) «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» ضِمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السُّنة»، لأبي منصور المَاتُريدي (٦/ ٥٥٠)، و«الهداية إلىٰ بلوغ النهاية»، لمكي بن أبي طالب (٦/ ٣٩٤٤)، و«المُحرَّر الوجيز»، لابن عطية (٣/ ٣٧٧)، و«الجواب الصحيح لمَن بَدَّل دين المسيح»، لابن تيمية (٥/ ٨٧)، و«مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (١٦/ ١٥٩- ١٦٠)، و«مفتاح دار السعادة»، لابن القيم (١/ ٢٩٣)، و«حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي»، لشهاب الدين الخفاجي (٥/ ٣٠٨)، و«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للسعدي (ص ٤٣٥).

(٣) «تفسير السمعاني» (٣/ ١٥٨).

(٤) «جمال القراء وكمال الإقراء»، لعَلَم الدين السخاوي (١/ ١٩٩).

(٥) «دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، لمحمد الأمين الشنقيطي (ص ١٣٢)، و«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، له (١/ ٥٢٦)، ولم أقف علىٰ هذه التسمية عند أحد قبل الشيخ الشنقيطي.

## ثالثًا- كثرة دوران لفظ (النِّعمة) ومشتقاته في السورة الكريمة:

تكررت مادة (نعم) ومشتقاتها في السورة الكريمة ثلاث عَشْرة مرة، وهي أكثر سورة وردت بها، يليها سورتا (البقرة) و(المائدة) بعَشْر مرات لكل منهما، في حين وردت المادة في جميع القرآن الكريم مئة وثمانيًا وخمسين مرة(١).

**فمن ذلك:** قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

---

(١) أُحصيت تلك الأرقام باستخدام ما فهرسه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه المفهرس لألفاظ القرآن (ص ٧٠٧- ٧٠٩) مادة (نعم).

كما ذُكر لفظ (الأنعام) في مَعرِض الامتنان ثلاث مرات: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ [النحل: ٥]، ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ [النحل: ٨٠] بالاسم الظاهر، عدا ما يَعُود عليها من الضمائر في سياق الآيات الكثيرة.

**ومن هذا الباب أيضًا:** كثرة دوران أفعال التسخير بالسورة الكريمة، وتَنوُّعها؛ مثل: (سَخَّر)، و(جَعَل)، و(خَلَقَ)، و(ذرأ) وغيرها.

### ◆ رابعًا- تتابع ذكر النِّعم في أثناء السورة الكريمة:

أشارت السورة الكريمة لأصول النِّعم، وربما استوفت شرح فروع بعضها بما لم يَرِد في سورة أخرىٰ! فافتُتحت بأصل أصول النِّعم، وهو خَلْق الإنسان وهدايته بإنزال الملائكة بالوحي علىٰ مَن يشاء من عباده؛ ليُبلِّغوا شرعه مُبشِّرين ومنذرين، واختتمها بذكر نعمة معيته الخاصة لعباده المتقين المحسنين.

وبينهما ذكر تسخير السموات والأرض للإنسان، وما امتن عليه من نعمة البيان وفصاحة اللسان التي كُرِّم بها، وذِكر تسخير الأنعام له مَحْمَلًا ومطعمًا ومشربًا وزينة، ونعمة الماء والنبات والثمار، والليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، والبحر وما فيه من المطعم والمسلك والحلية، والجبال والأنهار، والأمن، والظلال، وكشف الضر، والأزواج، والذرية من البنين والبنات والحفدة، والإمهال، والتذكير، والقرآن، والنَّحْل وعسلها، والرزق الطيب، وحَجْب الغيب، والحواس، والقدرة علىٰ التعلم، والطيور، وما توحي به من قوانين الطيران، والبيوت، والملابس، وجُنة الحرب، والإرشاد إلىٰ محاسن الأخلاق، ورَغَد العيش بالطاعة، وسبيل الوقاية من الشياطين، وعدم المؤاخذة بالإكراه والاضطرار، وجَعْل الأصل في الأشياء الإباحة، وقَبول التوبة عن التائبين، وإقامة القدوات لهم ودعوة الصالحين، والتيسير علىٰ هذه الأمة بما لم يكن لغيرها، والقِصاص... وغير

ذلك مما يستخرجه التدبر والاعتبار.

ولا يخفىٰ أن لكل نعمة منها وجوهًا متعددة، فَصَّلَتِ السورة الكريمة بعضها، ونَوَّهَتْ ببعضها إشارة.

## خامسًا- فرائد من النَّظْم القرآني تُوجِّه بكَوْن سورة (النَّحْل) هي سورة النِّعم:

لعل من اللطائف البديعة في النَّظم القرآني لسورة (النَّحْل) المتناسبة مع كونها سورة النِّعم، وأنها أُنْزِلَتْ بتفصيل النِّعم وتعديدها- ما قَيَّده بعض المفسرين في أثناء توجيههم لبعض فرائد المتشابه اللفظي في سورة (النَّحْل) بما ينبني علىٰ مَقصِدها الأصيل، وهو ذِكر النِّعم.

## ونُوضِّح الفكرة بالأمثلة الآتية:

### المثال الأول:

قال تعالىٰ في سورة (النَّحْل): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وقال تعالىٰ في سورة (فاطر): ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

**وقد وُجِّهَتْ زيادة الواو في سورة (النَّحْل) في قوله تعالىٰ:** ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بأنه لما كان مقصود السورة تَعداد النِّعم، ناسب ذلك عطف بعضها علىٰ بعض؛ لأنه مَظِنة إطناب وتفصيل، فذَكَر الله ﷻ في سورة (النَّحْل) النِّعم التي سَخَّر البحر من أجلها، فعَدَّ أربع نِعَم: الأولىٰ- نَيل سَمَكه، والثانية- استخراج حِليته،

والثالثة- طلب سائر الأرزاق بالضرب فيه؛ للتجارة والسفر، ونَقْل الأمتعة من مصر إلىٰ مصر ... إلىٰ غير ذلك، والرابعة- حَمْلهم علىٰ الشكر.

وجملة ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] معترضة، وليست معطوفة علىٰ ما قبلها؛ لأنها خطابُ واحد، وما قبلها وما بعدها خطاب جَمْع، وليس الضمير لواحد مُعيَّن مخصوص دون غيره، ولكنها خَرَجَتْ مَخرج المَثَل، والقصد أن مَن نظر إليها رآها علىٰ الصفة المذكورة، واعتراضها توطئة لما بعدها من ذكر الابتغاء من فضل الله ﷻ؛ لأنه لا يكون إلا إذا ذُلِّل للفُلك البحرُ، وقُدِّر لها السير فيه.

**وأما حذف الواو في قوله تعالىٰ:** ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ١٢] فلأن الآية الكريمة لم تُبْنَ علىٰ فعل يقتضي استيعاب النِّعم المتعلقة به؛ كما كان في فعل (سَخَّر) في آية (النَّحْل) فصَحَّ تعلق الكلام بكون الفلك مواخر تَشق الماء وتسير بأهلها؛ ليبتغوا من فضله فيما جُعِل الطريق إليه من المنافع التي لا تُنال إلا بها(١).

وقد عُدَّ ما يعود عليهم من التفكر والاعتبار بذلك كله من أن يشكروا الله تعالىٰ بقالهم وأفعالهم نعمةً، فقال في السورتين: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، والشكر نفسه نعمة عظيمة، والحق أنه أعظم نعمة؛ إذ هو حارسها ومفتاح مَزيدها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

### المثال الثاني:

قال تعالىٰ في سورة (إبراهيم): ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

---

(١) انظر: «دُرة التنزيل وغُرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ص ١٤٥- ١٤٦)، و«البرهان في متشابه القرآن» للكِرماني (ص ٢١٨)، و«مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل»، لأبي جعفر الغَرْنَاطي (٢/ ٧٣٤- ٧٣٦).

وقال تعالىٰ في سورة (النَّحل): ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨].

**وتوجيه ذلك- والله أعلم- أن آية سورة (إبراهيم) سبقها ذكر القوم الذين** بَدَّلوا نعمة الله كفرًا، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ثم ذِكر ظُلمهم: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وذلك أعظم الظلم، أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك. ثم ذَكَر جانبًا من إنعامه علىٰ عباده بشيء من الإجمال في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٤]، فناسب ذلك أن يكون ختامها: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

**أما آية (النَّحْل)** فهي واقعة في سورة النِّعم، ولم يتقدمها غير ما نَبَّه الله ﷻ به عباده المؤمنين من متوالي إنعامه عليهم، ومتواتر إكرامه لهم، فذَكَر نحوًا من ثلاثين نعمة، ثم أتبعها بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨] فناسب ختام هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨]، فجاء كل علىٰ ما يناسب، والله أعلم(١).

**وقال الرازي:** «قال [الله ﷻ] في هذا الموضع: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال في سورة (النَّحْل): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨].

ولما تأملتُ فيه لاحت لي فيه دقيقة: كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة، فأنت الذي أخذتها، وأنا الذي أعطيتُها، فحَصَل لك عند أخذها وصفان، وهما كَوْنك ظلومًا كفارًا، ولي وصفان عند إعطائها، وهما كوني غفورًا رحيمًا. والمقصود كأنه

---

(١) انظر: «ملاك التأويل»، لأبي جعفر الغرناطي (٢/ ٧١٨- ٧٢٠).

يقول: إن كنتَ ظلومًا فأنا غفور، وإن كنت كفارًا فأنا رحيم، أعلم عجزك وقصورك؛ فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء»(١).

**ونَقَل الزركشي بنحوه معزوًّا لابن المُنَيِّر في تفسيره، والأقرب أن ابن المُنَيِّر أخذه من الرازي، ثم عَقَّب الزركشي، فقال:** «هو حَسَن، لكن بقي سؤال آخَر، وهو ما الحكمة في تخصيص آية (النَّحْل) بوصف المُنعِم ﷻ، وآية (إبراهيم) بوصف المُنعَم عليه؟

**والجواب:** أن سياق الآية في سورة (إبراهيم) في وصف الإنسان وما جُبِل عليه، فناسب ذكر ذلك عَقيب أوصافه. وأما آية (النَّحْل) فسيقت في وصف الله تعالىٰ وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب، ما أرقاها في درجة البلاغة!»(٢).

**وكذا يمكن أن نقول:** فوقع وصف الإنسان في السورة التي تَقَدَّم فيها ذكر تكذيب الناس لرسلهم، وطاعتهم للشيطان عدوهم، وكُفرهم بنعمة ربهم بدل شكرها. وجاء وصف الله تعالىٰ في السورة التي فَصَّلَتْ جانبًا من إحسانه وإنعامه، وإرشاد عباده إلىٰ سبيل التحصن من عدوهم. والله أعلم.

### المثال الثالث:

قال تعالىٰ في سورة (النَّحْل): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

وقال تعالىٰ في سورة (المؤمنون): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١].

---

(١) «التفسير الكبير»، لفخر الدين الرازي (١٩/ ١٠٠)، وانظر منه: (٢٠/ ١٩٥).

(٢) «البرهان في علوم القرآن»، لبدر الدين الزركشي (١/ ١٧٦، ١٧٧).

**فهاهنا سؤالان:**

**الأول**- ما توجيه تذكير الضمير في سورة (النَّحْل)؟

**والثاني**- ما وَجْه اختصاص سورة (النَّحْل) بذلك؟

**وللعلماء عن الأول أجوبة متنوعة، نُجملها فيما يأتي:**

**الجواب الأول**: ذَكَّر الهاء علىٰ معنىٰ: (مما في بطون ما ذَكَرْنا)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١١، ١٢] علىٰ معنىٰ: فمَن شاء ذَكَر ما ذَكَرْنا. قاله الكِسائي، وصَوَّبه الفَرَّاء، وسَوَّغه المُبَرِّد[(١)].

**الجواب الثاني**: ذَكَّر الهاء لأنه ذهب إلىٰ معنىٰ (النَّعَم) وهما بمعنًىٰ، والنَّعَم مُذكَّر. وإنما جاز أن تَذهب به إلىٰ واحدها لأن الواحد يأتي في المعنىٰ علىٰ معنىٰ الجمع[(٢)].

**قال سيبويه**: «وأما (أفعال) فقد يقع للواحد، مِن العرب مَن يقول: هو الأنعام. وقال الله ﷻ: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾»[(٣)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن»، للفَرَّاء (٢/ ١٠٩)، و«التفسير البسيط»، للواحدي (١٣/ ١١٠).

(٢) «معاني القرآن» للفَرَّاء (١/ ١٢٩).

(٣) «الكتاب»، لسيبويه (٣/ ٢٣٠).

**ووقوعه للواحد يعني في معناه، لا بالوضع**، فقد نَص سيبويه (الكتاب ٤/ ٢٤٧) حين ذَكَر أبنية الأسماء المفردة- علىٰ أن (أفعال) ليس من أبنيتها.

**وعليه**، فلا وَجه لما قاله ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٠): «وما أراه عَوَّل عليه إلا في هذه الآية، وهذا لا يُشْبِه منصبه، ولا يليق بإدراكه».

**وانظر ذيول المسألة في**: «البحر المحيط»، لأبي حيان (٦/ ٥٥٥)، و«الدر المصون»، للسمين الحلبي (٧/ ٢٥٥).

**الجواب الثالث**: أن (الأنعام) تُذكَّر وتُؤنَّث، فجرىٰ هذا الحرف في سورة (النَّحْل) علىٰ لغة مَن يُذَكِّر، والذي في سورة (المؤمنون) علىٰ لغة مَن يُؤنِّث. قاله أبو عُبيدة، كما حُكِيَ عن يونس بن حبيب البصري(١).

**وأَنْكَر ذلك السجستاني، فقال**: تذكير (الأنعام) لا يُعْرَف في الكلام، ولكن إن ذهب إلىٰ النَّعَم فجائز. كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، جُمِع علىٰ معنىٰ (أحد) لأنه في معنىٰ الجَمْع(٢).

**الجواب الرابع**: ذَكَّر الهاء لأنه ذهب إلىٰ البعض؛ كأنه قال: (نُسْقِيكم مما في بطون أيها كان ذا لبن) لأنه ليس لكُلها لبن(٣).

**الجواب الخامس**: أنه جيء به مُذكَّرًا؛ لأن الهاء تعود علىٰ الفحل، فإنما كان اللبن بسبب مائه. حُكي هذا القول عن إسماعيل القاضي، ودل ذلك أن اللبن للفحل، فشُرب اللبن من الإناث، واللبن للفحل، فرجع الضمير عليه. واستُدل بهذا علىٰ أن اللبن في الرضاع للفحل، فقالوا في لبن الفحل: إنه يُحَرَّم(٤).

وضَعَّفه العُكْبَريّ بأن اللبن وإن نُسِب إلىٰ الفحل، فقد جُمِع البطون، وليس فحل الأنعام واحدًا، ولا للواحد بطون. فإن قيل: (أراد الجنس) فقد عاد إلىٰ قول

---

(١) انظر: «مجاز القرآن»، لأبي عُبيدة (١/ ٣٦٢)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (١/ ٤٢١).

(٢) «المُذكَّر والمُؤنَّث»، لأبي بكر بن الأنباري (١/ ٤٦٧، ٤٦٨).

وانظر: «تفسير غريب القرآن»، لابن قُتيبة (ص ٢٤٥)، و«معاني القرآن»، لأبي إسحاق الزَّجَّاج (٣/ ٢٠٩).

(٣) «مشكل إعراب القرآن»، لمكي بن أبي طالب (١/ ٤٢١، ٤٢٢).

(٤) «تأويلات أهل السُّنة»، للمَاتُريدي (٦/ ٥٢٦)، و«مشكل إعراب القرآن»، لمكي (١/ ٤٢٢، ٤٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (١٢/ ٣٥٢).

مَن حمله علىٰ المعنىٰ(١).

**أما الإجابة عن السؤال الثاني، وهو ما وجه اختصاص سورة (النَّحْل) بالتذكير؟** فقد وُجِّه بأنه لما ذُكِر الـمُسْقَىٰ وهو اللبن؛ لما اقتضاه سياق السورة من تَعداد النعم؛ فقد تَعيَّنَتْ إرادة الإناث لذلك؛ إذ دَرُّ اللبن يكون لبعض إناثها، فانتفىٰ الالتباس مع تذكير الضمير.

وليس الأمر كذلك في سورة (المؤمنون) إذ لم يُذْكَر المُسْقَىٰ. ولأن فيها: ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١]، فأَخْبَر عن النِّعم التي في أصناف الأنعام إناثها وذكورها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض، كما احتملته آية سورة (النَّحْل)(٢).

**فالحاصل علىٰ هذا الوجه:** أن النظر إلىٰ كون سورة (النَّحْل) سورة تَعداد النِّعَم- حَسَّن ذكر اللبن، فلما ذُكِر أُمِن اللبس فذَكَّر. وإنما لم تُذكَر المنافع التي ذُكِرَتْ إجمالًا في سورة (المؤمنون) في هذا الموضع من سورة (النَّحْل) لأنها ذُكِرَتْ منثورة في ثناياها مبسوطة مُفصَّلة، فكَوْنها سورة (النِّعم) وما تسترعيه من التفصيل- حَسَّن هذه اللفتة اللطيفة إلىٰ نعمة عظيمة، وهي دَرُّ اللبن، فساغ في النظم هنا ما لو كان هناك لربما كان مُشكلًا. والله أعلم.

**كذلك**، فإنه إن صح ما ذهب إليه بعض العلماء من أن تذكير الضمير في (بطونه) إشارة إلىٰ ماء فحولها، فستكون (مِن) سببية، فماء الفحل سبب اللبن؛

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن»، لأبي البقاء العُكْبَري (٢/ ٥١١، ٥١٢).

(٢) انظر: «دُرة التنزيل وغُرة التأويل»، للخطيب الإسكافي (ص ١٤٩، ١٥٠)، و«كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، لابن جماعة (ص ٢٢٩)، و«نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، للبَقاعي (١١/ ١٩٣)، وانظر «السِّراج المنير»، للخطيب الشربيني (٢/ ٢٤٢).

لأنها لا تدرّ إلا إذا أنتجت، ولا تنتج إلا إذا لقحت، وماء الفحل إنما يكون من بطنه من الوجه الذي يكون فيه اللبن من بطن الإناث.

**فإن صح هذا الاحتمال**، فإن فيه إيماء لطيفًا إلىٰ نعمة أخرىٰ، وهي نعمة الزوجية التي أشار إليها القرآن الكريم مرارًا؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ [الزخرف: ١٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]، وغير ذلك. وإنما حَسَّن ذلك قصد تعديد النِّعم. فهذه نكتة لطيفة، والنكات لا تتزاحم. والله أعلم بمراده.

### المثال الرابع:

قال تعالىٰ في سورة (النَّحْل): ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالىٰ في سورة (المؤمنون): ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

وفي سورة (السجدة): ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وفي سورة (المُلك): ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

**وآية (النَّحْل)** آية تعديد نعمة بينة لا ينكرها عاقل، فالله ﷻ أخبر بأنه أخرج ابن آدم لا يَعلم شيئًا، ثم جَعَل حواسه التي قد وهبها له في البطن سُلَّمًا إلىٰ إدراك المعارف؛ ليَشكر علىٰ ذلك ويُؤمِن بالمُنعِم عليه(١).

(١) انظر: «المُحرَّر الوجيز»، لابن عطية (٣/ ٤١١).

فالمقام في سورة (النَّحْل) مقام امتنان، والمعنىٰ: جَعَل لكم السمع لتسمعوا خطابه ومواعظه، والأبصار لتُبصروا أفعاله ودلائله، والأفئدة لتَعرفوا حقه وعظمته، ثم تَشكروا عظيم إنعامه عليكم بهذه الحواس(١).

فهذه الحواس وما أَوْدَعه الله في الفِطر من علوم بديهية تَحصل عن تصور موضوعاتها وقضاياها بمساعدة تلك الحواس، وما يترتب علىٰ ذلك من علوم كسبية- كل ذلك نعمة كبرىٰ. ولذلك قال تعالىٰ عقب ذكرها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] أي: هي سبب لرجاء شكركم واهبها سبحانه(٢).

**وأما في غيرها**، فالمقام مقام تهديد وتوبيخ بكفر أكثرهم. والله أعلم(٣).

## ٢- تعريف الطريق لغةً(٤):

**الطَّرْق: الضَّرْب**، ومنه سُمِّيَتْ مِطرقة الصائغ والحَدَّاد؛ لأنه يَطْرُق بها، أي: يَضرب بها حتىٰ يتشكل المطروق. ولعله من ذلك أُخذ لفظ (الطريق) نُظِر إلىٰ تعبيده بتتابع سير الناس فيه.

**والطَّرْق أيضًا**: خَصْف شيء علىٰ شيء. يقال: نَعْلٌ مُطارَقَة، أي: مخصوفة. وتُرْسٌ مُطرَّق، إذا طُورِق بجِلد علىٰ قَدْره. وقد يكون الطريق من هذا القياس؛ ذلك

(١) انظر: «النكت والعيون»، للماوردي، (٢/ ٣١١)، و«التفسير الكبير»، للفخر الرازي (٢٠/ ٢٥١)، و«مباحث التفسير»، لأبي العباس الرازي (ص ١٩٨).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ٢٣٣).

(٣) ولأبي جعفر الغَرْنَاطي توجيه آخَر، انظر: «ملاك التأويل» (٢/ ٧٥٢- ٧٥٤).

(٤) انظر: مادة (طرق): في «العين»، للخليل (٣/ ٤٤- ٤٦)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (٩/ ٩، ١٠)، و«معجم مقاييس اللغة»، لابن فارس (٣/ ٤٤٩- ٤٥٣)، و«أساس البلاغة»، للزمخشري (١/ ٦٠٢، ٦٠٣).

أنه شيء يعلو الأرضَ، فكأنها طُورِقَتْ به، وخُصِفَتْ. ثم غَلَب علىٰ كل طريق، وإن كان أخدودًا في الأرض.

**واستعير للطريق المعنوي، فقالوا:** فلان حَسَن الطريق والطريقة، أي: حَسَن السيرة والمذهب.

**ومن مرادفات (الطريق) شائعة الاستعمال في اللغة والقرآن: السبيل والصراط.**

و**(السبيل)** يُذكَّر ويُؤنَّث كالطريق. ويُستعمل السبيل كذلك لكل ما يُتوصل به إلىٰ شيء، خيرًا كان أو شرًّا(١).

و**(الصراط)**: أصله (السِّراط) بالسين، والصاد لغة فيه، وهو الطريق المُستسهَل، أصله من سَرَطْتُ الطعام وزَرَدْتُه: إذا ابتلعته، فقيل: (سِرَاط) تصورًا أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه(٢). ثم غلب الصراط- عند تعريفه وإطلاقه- علىٰ الجسر الممدود علىٰ ظَهْر جهنم، يَعبُره المؤمنون إلىٰ الجنة، علىٰ حَسَب أعمالهم.

**وقد ذَكَروا في الفرق بينها أمورًا، فنَقَل صاحب «رُوح البيان» عن ابن الكمال-** أن الطريق: كل ما يطرقه طارق، معتادًا كان أو غير معتاد. والسبيل أخص منه، وهو ما كان معتاد السلوك. والصراط أخص منه، وهو ما كان من السبيل غير ذي عِوَج أو التواء(٣).

**وبنحوه نحا المُنَاويّ فقال:** «الصراط من السبيل: ما لا التواء فيه ولا اعوجاج، بل علىٰ جهة القصد، فهو أخص من السبيل الأخص من الطريق. وفائدة وصفه في (الفاتحة) بـ(المستقيم) أن الصراط يطلق علىٰ ما فيه صعود أو هبوط، والمستقيم

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، للراغب الأصفهاني (ص ٣٩٥).

(٢) «المفردات في غريب القرآن»، للراغب الأصفهاني (ص ٤٠٧).

(٣) انظر: «رُوح البيان»، لإسماعيل حقي (٥/ ١٣).

ما لا ميل فيه إلىٰ جهة من الجهات الأربع»[(١)].

وذهب **أبو هلال العسكري** إلىٰ أن الصراط هو الطريق السهل خاصة، والسبيل يقع علىٰ ما يقع عليه الطريق وعلىٰ ما لا يقع عليه، تقول: سبيل الله وطريق الله، وتقول: سبيلك أن تَفعل كذا، ولا تقول: طريقك أن تَفعل[(٢)].

**ولعل تأمل المعاني اللُّغوية لهذه الألفاظ يُبيِّن فرقًا دقيقًا بينها غير ما ذكروه:**

فـ**(الطريق)**: هو الممر المطروق، إما بقوة الوضع، وهو تعبيد مقصود؛ كما يُفعل اليوم في رسم الطرق، وإما بكثرة السلوك وتواطؤ الناس علىٰ قصده.

**وأما (السبيل)** فهو الطريق الممتد الطويل خاصة، إذ إن الأصل اللُّغوي (سبل) يدل علىٰ ذلك، فيقال: (أَسْبَلَ فلانٌ ثيابَه): إذا أرخاها وطَوَّلها، وأرسلَها إلىٰ الأرض. و(رَجُلٌ مُسبَّل): إذا كان طويل اللحية، فمنه سُمِّي السبيل لامتداده[(٣)].

ويُعضِّد هذا أن المصطلح القرآني السائر هو (ابن السبيل) بدل (ابن الطريق) لكَوْنه أدل علىٰ المنقطع في السفر الطويل. وابن السبيل: هو المسافر الذي انقُطع به، وهو يريد الرجوع إلىٰ بلده ولا يجد ما يَتبلغ به، فله في الصدقات نصيب[(٤)].

**وأما (الصراط)** فهو الطريق السهل الواضح خاصة. والصراط المستقيم: الطريق السهل المستقيم. والله أعلم.

---

(١) «التوقيف علىٰ مهمات التعاريف»، للمُنَاوي (ص ٢١٥).

(٢) «الفروق اللُّغوية»، لأبي هلال العسكري (ص ٣١٣).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة»، للأزهري (١٢/ ٣٠٣)، و«مقاييس اللغة»، لابن فارس (٣/ ١٣٠).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة»، للأزهري (١٢/ ٣٠٣).

### ٣- حق الطريق في الإسلام:

(حق الطريق) تعبير عن طائفة من الآداب والسلوكيات الشرعية، التي أُمِرَ بها مستخدمو الطريق: الجالس والماشي والراكب، كل بقدر استطاعته.

وهذه الحقوق- كسائر تشريعات الدين الحنيف- هي من أعظم معالم نعمة الطريق لمن تأملها؛ إذ بقيامها تُحفَظ الحقوق، وتُصان الدماء والأموال والأعراض والأوقات، وتنتظم حركة البشر في سعيهم لقضاء مصالحهم.

**وقد جاءت السُّنة المطهرة بأحاديث كثيرة جدًّا، تُبيِّن حق الطريق وتُنظِّمه، ليس هذا محل بسطها، ولكن نَذكر- باختصار- جملة من مفردات حقوق الطريق.**

**فعن أبي سعيد الخُدري** ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس بالطرقات**» فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدّ نتحدث فيها. فقال: «**إذ أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غَضُّ البصر، وكف الأذىٰ، ورَدُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»(١).

**ولا يَقتصر غض البصر علىٰ كف نظر الرجال للنساء، ونظر النساء للرجال فحَسْب**، بل يُقصَد به كذلك كف النظر عما في أيدي العابرين من نعمة، وما تحتَهم من مراكب فاخرة فارهة؛ فهذا مَظِنة التمني، والتمني سُلَّم الحسد.

**كما يجب علىٰ مستخدم الطريق أن يكف أذاه عن الناس**، فلا يؤذيهم بجوارحه: بصره ولسانه ويديه ورجليه، ولا يُضيِّق عليهم الطريق ببدنه أو بمركبته، ولا يُضيِّق عليهم المجلس في المواصلات، ولا يزاحمهم في ممر هم أَوْلَىٰ به منه، ولا يضع في طريقهم العراقيل والقاذورات، ولا يتخلىٰ في طريق الناس ولا في الظل الذي يستخدمونه؛ فإنه يؤذيهم، ويَجلب عليه سبهم ولعنتهم.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٢٢٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٢١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا **اللَّعَّانَين**» قالوا: وما اللَّعَّانان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلىٰ في طريق الناس، أو في ظلهم**»(١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البِراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق**»(٢).

**قال ابن الأثير:** «هي جَمْع مَلْعَنَة، وهي الفَعْلة التي يُلْعَن بها فاعلها، كأنها مَظِنة لِلَّعْن ومَحَل له، وهي أن يَتغوط الإنسان علىٰ قارعة الطريق، أو ظل الشجرة، أو جانب النهر. فإذا مر بها الناس لعنوا فاعلها. ومنه الحديث: «**اتَّقُوا اللَّاعِنَين**» أي: الأمرَين الجالِبَين لِلَّعْن، الباعثَين للناس عليه؛ فإنه سبب لِلَعْن مَن فَعَله في هذه المواضع»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون- أو بضع وسِتون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٤).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عليَّ أعمال أمتي، حَسَنُها وسيئُها، فوَجَدْتُ في محاسن أعمالها الأذىٰ يماط عن الطريق، ووَجَدْتُ في مساوئ أعمالها النُّخَاعة تكون في المسجد لا تُدفَن»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ٢٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «سُننه» (ح ٢٦)، وابن ماجه في «سُننه» (ح ٣٢٨)، وحَسَّنه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح ١٤٦).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير الجَزَري (٤/ ٢٥٥).

والحديث بلفظة (اتَّقُوا اللاعِنَيْن) أخرجه أحمد في «مسنده» (ح ٨٨٥٣)، وأبو داود في «سُننه» (ح ٢٥)، وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصَحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح ١٤٥).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه» (ح ٣٥).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ٥٥٣).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وَجَد غصن شوك علىٰ الطريق، فأَخَّره، فشَكَر الله له فغَفَر له»(١).

**والفرق بين كف الأذىٰ وإماطة الأذىٰ:** أن الكف مَنْع وصول الشر المُمكِن لمستخدمي الطريق. والإماطة: رَفْع الشر الواقع. فالكف ينصرف إلىٰ الأذىٰ الذي يمكن أن يوقعه الكافُّ. والإماطة تنصرف إلىٰ الأذىٰ الذي أوقعه الغير، وتَكفَّل المميطُ بإماطته تطوعًا أو وجوبًا.

وعلىٰ المسلم أن ينوي بإماطته الأذىٰ عن الطريق: دَفْع الضرر عن الناس والحيوان والآلة، وتحصيل الأجر، والقيام بحق الطريق.

**وعليه يمكن أن يقال:** إِنَّ كف الأذىٰ عن الطريق واجب. وإماطة الأذىٰ عن الطريق قد تكون واجبة، وقد تكون مندوبة، وقد تكون فرض كفاية إن لم يوجد مَن يتيسر له الإماطة غيره، أو كان ذلك من مسئولياته؛ كالوالي والحاكم والعمدة.

**والأمر بالمعروف أَوْلاه ما كان متعلقًا بحق الطريق نفسه،** فهو كواجب الوقت. ومِن ذلك: الأمر بأن يسع كُلٌّ أخاه في المشي والركوب، والأمرُ بِغَضّ البصر، والتذكير بالأذكار المُوظَّفة وبذكر الله عمومًا، والتذكيرُ بالمحافظة علىٰ مرافق الطريق... ونحو ذلك.

**وكذا النهي عن المنكر أَوْلاه النهي عن انتهاك حق الطريق،** كتجاوز السرعة المقررة، ورَفْع الصوت بآلات التنبيه، فهو كواجب الوقت.

**وتَأَمَّلْ كيف كان النبي ﷺ ينهىٰ أصحابه في ركوبه!**

فعن عبد الله بن عباس ﷺ، قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح ٦٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (ح ١٩١٤).

امرأة من خَثْعَم، فجَعَل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجَعَل النبي ﷺ يَصرف وجه الفضل إلىٰ الشِّق الآخَر... الحديث(١).

وعن أبي تَميمة الهُجَيْمي، عمن كان رديف النبي ﷺ، قال: كنتُ رديفه علىٰ حمار، فعثر الحمار، فقلت: تَعِس الشيطان! فقال لي النبي ﷺ: «**لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تَعاظَم الشيطان في نفسه، وقال: صرعتُه بقوتي! فإذا قلتَ: باسم الله، تصاغرت إليه نفسه حتىٰ يكون أصغر من ذباب**»(٢).

**وتكمن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** في أنه يُظْهِر تمالؤ المجتمع علىٰ تحمُّل المسئولية. ولن يُوفَّىٰ حق الطريق إلا إذا عَلِم كل امرئ أن القيام بحق الطريق مسئوليته، فلا يُلقِي العبء علىٰ غيره ما استطاع أن يقوم به بنفسه. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعلِّمان الجاهل، ويُذكِّران الـمُقصِّر والناسي بواجبه.

**وهذا كثيرًا ما يَطرأ في المواصلات**، بأن يتظالم السائق والراكب في الأجر أو محطة الوقوف أو مكان الركوب في المركبة... أو نحو ذلك من الأمور التي هي مَظِنة المنازعة بينهما. فعلىٰ الحاضرين الحجز بينهما، فإنْ بغىٰ أحدهما علىٰ الآخَر، وجب عليهم نصر المظلوم وتَرْك العصبية لأحدهما بأي داع من دواعي العصبية.

**ومن حقوق الطريق: إرشاد السائل، وهداية الضال، وقيادة الأعمىٰ، وإعانة الضعيف، والجود بفضل الظَّهْر علىٰ مَن لا ظَهْر له.**

**عن أبي سعيد الخُدري** رضي الله عنه **قال**: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل علىٰ راحلة له. قال: فجعل يَصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: «مَن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح ١٥١٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح ١٣٣٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (ح ٢٠٥٩١)، وأبو داود في «سُننه» (ح ٤٩٨٢)، وغيرهما. وصَحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح ٣١٢٩).

**كان معه فضل ظَهْر فلْيَعُد به علىٰ مَن لا ظَهْر له، ومَن كان له فضل من زاد فلْيَعُد به علىٰ مَن لا زاد له»** قال: فذَكَر من أصناف المال ما ذَكَر، حتىٰ رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل(١).

فإذا كان ذا سيارة، وثَمة مكان متسع بها، فليَتحرَّ مَن لا ظَهْر له فليوصله إلىٰ بغيته أو أقرب مكان لها. والتحري هنا أن يَقصد مَن يَعلم أنهم من ذوي الحاجة أكثر من غيرهم، وليُراعِ عدم الخَلوة بالأجنبية. وليُراعِ ألا يَحمل ذا تهمة أو مَن يَغلب علىٰ ظنه أنه لا يأمنهم علىٰ نفسه وماله. وقد يكون الجود بأن يُعِير سيارته ذوي الحاجة لقضاء مصالحهم.

**ومنه:** تشميت العاطس إذا حَمِد، وحُسْن الكلام مع مستخدمي الطريق والركاب، وخصوصًا عند الزحام، وعند التنازع علىٰ أولوية المرور، أو التنازع حول أجرة استخدام المركبات... أو نحو ذلك.

**ومن حق الطريق ذِكر الله ﷻ، فعن أبي هريرة ﷺ قال:** قال رسول الله ﷺ: **«ما جلس قوم مجلسًا لم يَذكروا الله فيه، إلا كان عليهم تِرَة، وما مشىٰ أحد مَمشًىٰ لم يَذكر الله فيه إلا كان عليه تِرَة، وما أوىٰ أحد إلىٰ فراشه ولم يَذكر الله فيه إلا كان عليه تِرَة»**(٢).

**فهذا في الذِّكر المطلق، ومن الذِّكر المُقيَّد المتعلق بالطريق وأحواله:** دعاء الركوب، ودعاء السفر، ودعاء الصعود والنزول، وإفشاء السلام، ودعاء دخول القرية، وكفارة المجلس. ولعل كثرة هذه الأنواع وسهولة القيام بها تَقضي بأن مَن لم

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ١٧٢٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن حِبَّان في «صحيحه» (ح ٨٥٣)، وصَحَّحه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ح ٨٧).

يأتِ بشيء منها في طريقه- مُستحقٌّ الوعيد بالنقصان المذكور في الحديث الشريف.

**وبالجملة**، فالأوقات التي يقضيها الناس في مسالكهم إلىٰ حوائجهم طويلة، يَجمل بالمسلم عمارتها بذكر الله تعالىٰ.

**ومنه القيام بحق ابن السبيل**، وهو المسافر الذي انقطع به الطريق. وأوسع ما قيل فيه: هو المنقطع عن ماله، سواء كان خارج وطنه أو بوطنه، أو مارًّا به. وقد اتفق الفقهاء علىٰ أنه إذا لم يجد ما يَتبلغ به حُق أن يُعطَىٰ من الزكاة والغنيمة والفيء حَسَب حاجته، وإن لم يكن فقيرًا في بلده(١).

وابن السبيل وإن كان غنيًّا في بلده، فانقطاعه عن أهله وماله يجعله مكروبًا، مرة بنفاد ماله، ومرة بالتفكير في غربته عن أهله، ومرات بما قد يدهمه في سفره، وهو مُنْبَتٌّ لا ظَهْرًا أبقىٰ، ولا حاجةً بَلَغَ. فإذا عَلِم أن له في كل بلد حقًّا فَرَضه له الإسلام، أُبْدِل بهمه طُمأنينة، وبخوفه أمنًا وسكينة، فهي نعمة وأي نعمة.

**ومنه استبصار وجوه نعمة الله** ﷻ **عليه في تسخير الطريق**، وهو من أهم حقوق الطريق، والنهوض به مفتاح النهوض بسائر الحقوق، وباعثها، وناقلها من العادة إلىٰ العبادة، والحامِلُ علىٰ تحري الإتقان والإحسان فيها، وتَرْك التضجر والتململ بالمواظبة عليها، بل يأتيها في كل وقتٍ طيبَ النفس، منشرح الصدر، مُؤمِّل الأجر.

---

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١/ ١٩٠).

# مظاهر نعمة الطريق
## في ضوء سورة (النَّحْل)

إن التفكر في نعم الله ﷻ يُرِي المتفكرَ النعمة الواحدة نِعمًا متعددة، فيُجَلِّي خفيها، ويعيد الظاهر منها أشد ظهورًا. وهذا- ولا شك- يطبع أثره في القلب، فيَأطِر صاحبه علىٰ الشكر، ويُجَلِّي له مواقع التماس الأجر.

والشكر الحق إنما يكون بالقلب واللسان والجوارح، وبقدر حصوله في القلب يُرَىٰ أثره علىٰ الجوارح، وشُكْر الجوارح هو القيام بحق النعمة ومقتضاها.

**وفيما نحن بصدده من الحديث عن نعمة الطريق**، فإنَّ أحرىٰ الناس قيامًا بحقه وتخلقًا بآدابه- هم مَن وقفوا علىٰ معالم تلك النعمة العظيمة، واستظهروها، وجَدُّوا في إحصائها.

وفيما يلي محاولة لاستشفاف وجوه تلك النعمة في القرآن الكريم، من خلال سورة (النَّحْل).

## المطلب الأول

## نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها

بَسَط الله ﷻ الأرض ومَدَّها للبشر، ولولا ذلك ما استقام لهم عيشٌ ابتداءً. وسَخَّرها لهم بأنحائها، وظَهْرها وبَطْنها، وجوها وفضائها، وأنهارها وبحارها، ثم سَلَك لهم فيها سُبُلًا، ولو شاء لجعلها كلها صخرًا وعرًا أو بحرًا قعرًا، أو مَهَامِهَ مُهلِكة، أو غابات مُشتبِكة... أو غير ذلك مما يَتعسَّر معه علىٰ المرء تعبيد الطرق، ويَجعل الانتقالَ بين الآفاق شاقًّا أو مستحيلًا.

**وطريقة القرآن الكريم الجمع بين استقرار الأرض وتمهيدها وبين تسخير السبل، كما قال تعالىٰ:** ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، فثَبَّتَ الأرض بالجبال لئلا تضطرب، ولولا ذلك ما قامت للناس حياة، وجَعَل فيها الأنهارَ مسالك المياه، فأسقاه الناسَ والأنعام، وأَخْرَج به زرعًا مختلفًا ألوانه وثماره، وجَعَل فيها سُبُلًا ليَطْرُقها الناس، فتَسْلُس عمارتهم لها، ويستقيم سَيْرهم فيها اجتماعًا وافتراقًا؛ لتَتحقق فيهم سُنة الله ﷻ أن يجعلهم شعوبًا وقبائل، ثم ليتعارفوا.

والمعنىٰ: جَعَل لكم في الأرض سبلًا تسلكونها، وتَسِيرون فيها لحوائجكم وطلب معايشكم؛ رحمةً بكم ونعمة منه بذلك عليكم، ولو عَمَّاها عليكم لهلكتم ضلالًا وحَيْرة(١). وهي نعمة مرتفقة علىٰ تذليل الأرض وتمهيدها.

**وقد فُصِّل هذا المعنىٰ في غير موضع من القرآن الكريم، فقال تعالىٰ:** ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣].

(١) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، لابن جرير الطبري (١٤/ ١٩١)

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]، يعني طرقًا أعلامًا؛ ليهتدوا إلىٰ السير في الأرض، أي: لكي تهتدوا بتلك السبل إلىٰ حيث أردتم من البلدان والقرىٰ والأمصار، لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودُوركم، ولكنها نعمة أَنْعَم بها عليكم(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠]، والفَجّ: الطريق الواسع بين الجبلين. وكل طريق بَعُد فهو فَجٌّ(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، يعني سَهَّلها لكم.

ففي الأرض الجبال الرواسي أوتادُها، والأنهار بمادة الحياة مِدادُها، والسُّبُل المُعبَّدة صِفادُها. ولو لم يكن فيها الجبال لمادت واضطربت، ولو كانت كلها أو جُلها جبالًا لكان التنقل فيها عسيرًا، ولكان تمهيد الطرق خلالها مُكلِّفًا. ولعلنا نرىٰ أن رصف طريق طوله مئات الأميال خلال الأرض المنبسطة- قد لا يحتاج من الجُهد والمال والمشقة ما يحتاجه حفر نفق خلال جبل طوله بضعة أميال.

وفي هذه الآيات يُذكِّرهم الله ﷻ بنعمه عليهم؛ إذ جَعَل الأرض بحيث يُمهِّدونها، وينتفعون منها بأنواع المنافع، ومَكَّن لهم الوصول إلىٰ حوائجهم التي فَرَّقها في الأمكنة المتباعدة؛ إذ جَعَل لهم فيها سبلًا وطرقًا يسلكونها ليصلوا إلىٰ بُغيتهم، ولولا جَعْله فيها السبل والطرق ما استطاعوا السلوك فيها، ولا الوصول

(١) انظر: السابق (١٦/ ٢٦٢)، (٢٠/ ٥٥٤).

(٢) انظر: «العين»، للخليل بن أحمد (٣/ ٣٠٢)، و«تهذيب اللغة»، للأزهري (١٠/ ٢٧١).

إلىٰ حوائجهم التي فُرِّقَتْ في أنحائها.

**وفيه دلالة علىٰ حكمته** ﷻ، إذ فَرَّق حوائجهم في أمكنة متباعدة، ثم مَكَّن لهم الوصول إليها؛ ليعلموا أن الذي مَلَك أنفسهم هو مالك أطراف الأرض؛ إذ لو كان هذا غير ذلك لمنعهم عن الوصول إلىٰ حوائجهم.

**وفيه دلالة علىٰ قدرته**؛ حيث جَعَل لهم في الأرض ما ذَكَر من التسخير لهم؛ حتىٰ يَعْمُروها ويسلكوا سُبُلها إلىٰ مآربهم، ومَكَّن لهم ذلك ليَعلموا أن مَن قَدَر علىٰ ذلك لا يُعجزه شيء(١).

ويترتب علىٰ تذليل الأرض أن تكون سُبلها- في الجملة- آمنة فيما كان جَعْلًا وتسخيرًا ربانيًّا، فلا يأتيها الخوف إلا فيما يُوقِعه الناس علىٰ أنفسهم بتناحرهم وتشاحنهم وابتغائهم ما في أيدي بعضهم. ولو كانت الأرض غير ذلول، لأخرجت المشقةُ الناس إلىٰ الخوف الذي لا يفارقهم في انتقالهم.

والأمن ضمان لاستمرار الإمداد بالطعام والشراب إلىٰ البلاد والقرىٰ، والأمن مُرتَّبٌ علىٰ الإيمان، والخوف مُرتَّب علىٰ الكفر، قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] يعني: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة، من كل فج من فجاج هذه القرية، ومن كل ناحية فيها(٢).

ومِن أَبْيَن الأمثلة علىٰ ذلك مكة؛ لمكان الحَرَم، كما أشار إليه قوله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [سورة قريش].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السُّنة»، لأبي منصور المَاتُريدي (٩/ ١٥١).

(٢) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (١٤/ ٣٨٢).

**وأما بعض المسالك الوعرة التي يُضطر الناس إلىٰ سلوكها،** فتُعرِّضهم إلىٰ الخطر؛ لعدم وجود غيرها أو لعدم أمان بديلها؛ فإنها تبقىٰ شاهدة علىٰ نعمة تمهيد الأرض وتذليلها وتسخير سُبلها؛ كما أن المرض نعمة من حيث إعرابه عن الصحة، وكما أن الفقر نعمة من حيث دلالته علىٰ الغِنىٰ. والله أعلم.

## المطلب الثاني

## تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها

**نَوَّع الله تعالىٰ لعباده سُبل السير في الأرض**، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [يونس: ٢٢]. وهذا التنويع يَسَّر علىٰ الإنسان سبل الانتقال، وبَلَّغه آفاقًا ومواضع ما كان له أن يَبلغها- إِنْ بَلَغَها- إلا بمشقة وعناء.

**وعلاوة علىٰ ذلك**، فإن السير في البحر هَيَّأ للإنسان أن يَستخرج خيراته التي لا يُستخرَج كثير منها إلا من أعالي البحار والمحيطات الواسعة، ككثير من أصناف الأسماك والحُليّ، فلو لم يُسخَّر لهم البحر ما استطاعوا أن يستفيدوا من نعمه إلا بما تَطُوله أيديهم وهم علىٰ شاطئه، أو بما يُلقَىٰ لهم منه من غير أن يَتقحَّموا لُجَجه.

**وقد وَضَّحَتْ سورة (النَّحل) هذا الأمر غاية التوضيح**، فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٤- ١٥]، فذَكَرَتِ الآيتان الكريمتان نعمتَي السير في البحر والبَر، وما يَتحصَّل من ذلك من منافع؛ كالتجارة، والتعارف، والاعتبار والتريض، والحج والجهاد، وطلب العلم والدعوة إلىٰ الله ﷻ، والهجرة في الله، والصيد واستخراج اللآلئ والمَرجان والمعادن النفيسة... وغير ذلك مما يَدخل في عموم هذا المعنىٰ.

**وقد لَخَّصَتِ السورة الكريمة مقاصد الضرب في البَر والبحر أحسن تلخيص وأَبْيَنه!** فعلاوة علىٰ ما نصت عليه الآيتان السابقتان، قال تعالىٰ في الانتقال والرعي والسفر والتجارة: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ

إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ [النحل: ٦، ٧]، وقال تعالىٰ في سياحة الاعتبار: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ في الهجرة في الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ [النحل: ٤١]، وقال تعالىٰ في السفر: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل: ٨٠]، وأشار للجهاد بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١]، ثم ذَكَر الهجرة والجهاد في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٠]، وأشار للتجارة والحج بقوله تعالىٰ: ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ [النحل: ١١٢]، وذَكَر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم لفتت السورة الكريمة أنظارهم، وشحذت قرائحهم بالإشارة إلىٰ سُبل الجو- بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]. وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنىٰ في ثنايا البحث.

وفتَحَتْ لهم الباب لارتياد الفضاء بإشارة عامة: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، وبإشارة خاصة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]. فتسخير تلك الأجرام السماوية يَفتح باب الفكر للإنسان لاعتصار منافعها الخفية المُسخَّرة له، وألا يَقتصر علىٰ المنافع الظاهرة لتلك الأجرام علىٰ عظمتها. ولعل هذا يُجتنَىٰ في مرحلة لاحقة من حياة البشر، مع تقدم تِقنيات ارتياد الفضاء. والله أعلم.

**ولم يَقتصر تنويع الله ﷻ علىٰ السُّبل**، وإنما نَوَّع المراكب لتُناسِب تلك السُّبل، ولو اقتَصر علىٰ تنويعها، وتَرَك الإنسان لقدراته المحدودة، لكانت الفائدة قليلة.

ثم نوَّع المراكب في الطريق الواحد؛ لتُناسِب حاجات الناس وطاقاتهم المادية، ولتُناسِب كذلك مرادهم من كل سبيل مسلوك.

**وهذا المعنىٰ حاضر جليّ في سورة (النَّحْل)، فقال تعالىٰ في وصف الفلك:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، فمنها ما يناسب قَطْع المسافات الطويلة للتجارة في عرض البحار، ومنها ما يناسب الصيد، ومنها ما يناسب الغوص لاستخراج الحُلي، ومنها ما يناسب السياحة للفكر والنظر.

وقال في الدواب والأنعام: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٧، ٨]، ولا يخفىٰ تفاوت مناسبتها للسفر والجهاد والحمولة والحرث والزينة... وغير ذلك من الأغراض.

ثم جَعَل الباب مفتوحًا لما يُقدِّر الله تعالىٰ للبشر أن يستحدثوه من وسائل الانتقال، فقال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، فكلما وَصَل الناس لما قد يظنونه غاية التقدم والابتكار، ظلت الآية الكريمة شاهدة علىٰ أن وراءها ما هو أكثر تقدمًا وأبدعُ صنعًا.

**وقد فُصِّل هذا المعنىٰ في غير موضع من القرآن الكريم:**

فقال تعالىٰ في الأنعام: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

وقال فيها وفي الفلك: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر: ٧٩، ٨٠]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٢].

وقال في الفلك خاصة: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٢٤، ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [الشورىٰ: ٣٢-٣٥].

والجواري في البحر هي الفلك، وسِرُّ العدول إلىٰ التعبير بالصفة وحذف الموصوف- الإيماء إلىٰ محل العبرة؛ لأن العبرة في تسخير البحر لجريها وتفكير الإنسان في صنعها(١).

والأعلام: جمع عَلَم وهو الجَبَل. والمراد بالجواري: السفن العظيمة التي تسع ناسًا كثيرين، والعبرة بها أظهر، والنعمة بها أكثر(٢).

وإسكان الرياح: قَطْع هبوبها، فإن الريح حركة وتَموُّج في الهواء، فإذا سكن ذلك التموج فلا ريح(٣).

**والمعنىٰ**: إن يشأ الله الذي قد أجرىٰ هذه السفن في البحر ألا تَجري فيه، أَسْكَن الريح التي تجري بها فيه، فثَبَتْنَ في موضع واحد، ووقفن علىٰ ظهر الماء لا تَجري، فلا تتقدم ولا تتأخر. وإن يشأ أن يُهلكها برُكابها بما اقترفوا من الذنوب واجترحوا من الآثام، ما استطاعوا دفع ذلك(٤).

---

(١) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٢٥/ ١٠٥).

(٢) انظر: السابق (٢٥/ ١٠٥).

(٣) السابق (٢٥/ ١٠٦).

(٤) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (٢٠/ ٥١٦، ٥١٧).

**ويُورِد البعض شبهة فيقول**: إن الإنسان استطاع أن يخترع من الآلات ما يستغني به عن قوة الريح في دفع السفن، ولو سكنت الريح ما عجز الإنسان عن الإبحار بقوة المُحرِّكات، بل لعل سكون الريح أوفق للإبحار في كثير من الأحيان؛ إذ لا تَلْقَىٰ السفن البخارية أي مقاومة في أثناء سيرها، فما وجه المنة في الآية الكريمة؟

**والجواب عن ذلك**: أن القرآن نزل لكل زمان ومكانٍ، فكما أنه يخاطب البشر في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، فإنه خاطب البشر قبله، فخاطبهم بما يَعلمون، وهم لم يكونوا يَعرفون غير السفن الشراعية التي تُسيِّرها الريح، والله ﷻ مُسخِّر الريح كما أنه مُسخِّر غيرها من القُوىٰ التي طَوَّعها البشر بإرادة الله ﷻ، والقادر علىٰ أن يُسْكِن تلك قادر علىٰ أن يَذهب بهذه، وهو القائل ﷻ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، فما تستطيلون به هو مما أعطاكم مفاتح علمه بعد أن لم تكونوا تَعلمون، وهو القادر علىٰ أن يُغرقكم ولو كنتم في بروج مُشيَّدة. فاعتَبِروا يا أولي الأبصار.

فهي للأولين نعمة، وللآخِرين - فضلًا عن ذلك - تذكرة بنعمته علىٰ ما هداهم إليه من تقدم أتاح لهم صُنع ما صنعوا، وابتكار ما ابتكروا. فإذا ذَكَر الله ﷻ الريح رآها المؤمن مُعتبَرًا ومَنًّا، ورآها غيره عَوارًا ومَطعنًا.

**وشبيه بذلك**: ما قد يقع لأحدنا حين ينظر إلىٰ السماء في ليلة صافية، فيتفكر في خلق السموات والأرض، ويتأمل نجومها وبديع خلقها، ثم يعود علىٰ نفسه مُتبصِّرًا نعمة العين الباصرة التي أمكنه الله تعالىٰ أن يَرىٰ بها ما يَرىٰ، فيزداد شكرًا وامتنانًا.

فإذا بشيطانه يأبىٰ إلا أن يُعكِّر عليه صفو تأمله، فيوسوس له: وما وَجْه الإعجاز في ذلك؟ ألم يَخترع البشر من المناظير والتلسكوبات ما يرون به أبعد من هذا وأوضح؟! ولكن المُوفَّق يكايد عدوه قائلًا: اخسأ عدو الله! ومَن خلق

للإنسان العقل الذي استطاع به أن يهتدي إلىٰ صناعة هذه التلسكوبات؟! ومَن فَطَر قوانين البصريات؟! فينزوي عدوه خاسئًا حسيرًا، ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٥].

فهو سبحانه مَن سَخَّر هذه الريح التي تَدفع السفن الشراعية التي كانت معلومة وقتها للمُخاطبين، وهو ﷻ مَن سَخَّر القُوىٰ الأخرىٰ والطاقات؛ كالبخار والكهرباء والطاقة الشمسية والطاقة الذرية والنووية... وغيرها مما قد يكتشفه الإنسان في المستقبل، وهو سبحانه الذي كَتَب نواميسها، وهو الذي هدىٰ الإنسان إلىٰ اكتشاف قوانين عملها، وكيفية استخراجها واستخدامها في تسيير الآلات والمركبات المتنوعة في البَر والبحر والجو والفضاء.

**ثم نقول:** ما زالت السفن الشراعية مستخدمة حتىٰ الآن، فما زالت الآية قائمة في حق مستخدميها، ثم هي قائمة في حق مَن يُنجّيهم الله ﷻ من ظلمات البحر وأهواله رُغم ما يقترفون من الآثام، بل قد يَتخذون من بعض السفن المواخر نوادي لملذاتهم، ومواخير لفواحشهم وشهواتهم، فيُمهلهم ليتوبوا، ويعفو عن كثير، وقد يُهلِك بعضهم ليُعتبَر بهم، وتلك نِعمة ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

**فهذا- ولله الحمد- قاطعٌ لشبهة البعض في هذه الآية الكريمة. وقد أجيب بأجوبة أخرىٰ، نَذكر منها قولين سائرَين في ردود المعاصرين:**

**الأول-** أن المراد بالريح: القوة والطاقة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

**قال الشيخ الشعراوي:** «ومن عجائب إنباءات القرآن أن الحق سبحانه حينما تَكلم عن الريح التي تُسيِّر الفلك والسفن، قال الشكليون والسطحيون: «لم نَعُد نُسيِّر السفن بالرياح، بل نُسيِّرها بالطاقة».

ونقول: فلنقرأ قول الحق: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، و(رِيحُكُمْ) تعني: قوتكم وطاقتكم. فالمراد بالريح: القوة المطلقة، سواء جاءت من هواء، أو من بخار، أو من ماء»[(١)].

وهذا الوجه محتمل علىٰ بُعْد. وعلىٰ كل فهو عائد إلىٰ معنىٰ ما ذكرنا، غير أن الأول بطريق القياس والاعتبار، والثاني - إن صح - فبطريق النص الظاهر من بعض معاني ألفاظه. والله أعلم.

**الثاني** - قد يقال: إن وجود الريح لا يَزال ضروريًّا لسير تلك الآلات؛ إذ إن من مكونات الريح الأكسجين اللازم للاحتراق، فيستمر دوران المحركات، وجريان الريح كناية عن وجود الأكسجين وضمان لتجدده.

**ولعل هذا ما قَصَده الشيخ السعدي بقوله:** «ولا يَنتقض هذا بالمراكب النارية، فإِنَّ مِن شرط مشيها وجود الريح»[(٢)].

ولكن يُعكِّر علىٰ هذا أن إسكان الريح بإذهاب حركتها، لا بإذهاب ذاتها - لا يُلغِي وجود الأكسجين. كما يُعكِّر عليه إمكانية اختراع البشر لسفن تسير بالمحركات النووية التي لا تَعمل بآلية الاحتراق المعهودة. والله تعالىٰ أعلم.

◆ ◆ ◆

(١) «تفسير الشعراوي» (١٢/ ٧٥٤٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»، للسعدي (ص ٧٥٩).

## المطلب الثالث

## نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة

مِن نعم الله ﷻ علىٰ عباده ما أقام لهم من المعالم والعلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم.

وقد أشار إلىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥، ١٦]، فهذا أيضًا يَخرج مَخرج ذكر المنن والنعم عليهم؛ لأنهم لولا أن جَعَل الله ﷻ أعلامًا في البحار والبراري يَعرفون بها السلوك فيها، لم يستطع أحد معرفة الطرق في البحار والبراري[(١)].

وكل ما دل علىٰ شيء وأَعْلَم به فهو علامة[(٢)]، والعلامات ها هنا: الأمارات التي أَلْهَم الله الناس أن يضعوها ويتواطئوا عليها؛ لتكُون دلالة علىٰ المسافات والمسالك المأمونة في البر والبحر، فتتبعها السابلة[(٣)].

**وإنما أُريدَ العموم، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض،** فكل علامة استَدل بها الناس علىٰ طرقهم وفجاج سبلهم في البَر والبحر، والليل والنهار، فداخل في المراد بالعلامات، كالجبال والنجوم والشمس والقمر والرياح التي يَعرفون مهابها، وطَعْم الماء يَعرفون به الطريق المُفضِي إلىٰ بقاع مُعيَّنة، وبعض الدواب التي لا توجد إلا في أراضٍ أو بحار بعينها، فيَجعلون رؤيتها علامة علىٰ

(١) «تأويلات أهل السُّنة»، لأبي منصور المَاتُريدي (٦/ ٤٨٨).

(٢) «المُحرَّر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٤/ ١٢٢).

وصولهم إلىٰ وجهتهم بتلك الأراضي[١]. وحَكَىٰ الفخر الرازي أنه رأىٰ جماعة يشمون التراب، وبالرائحة يتعرفون الطرق[٢]. ويَدخل فيها ما استحدثه الإنسان من علامات المرور وإرشاداته وإشاراته علىٰ اتجاهات الطرق ومواقع المُدن، والمسافات بين المعالم، ونحو ذلك.

**وجملة:** ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَصلح أن يكون المراد بها الاهتداء إلىٰ المقاصد في الأسفار برسم الطرق، وإقامة المراسي علىٰ الأنهار، واعتبار المسافات. وكل ذلك من جَعْل الله تعالىٰ وتسخيره لهم؛ لأن ذلك حاصل بإلهامه. وتَصلح أن يكون المراد الاهتداء إلىٰ الدين الحق وهو دين التوحيد؛ لأن في تلك الأشياء دلالة علىٰ الخالق المنفرد بالخلق[٣].

**ووُجِّه الالتفات من الخطاب في قوله:** ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ **إلىٰ الغَيبة في قوله:** ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ أن المقصود بالثاني قريش خصوصًا، وقد كانت تُكْثِر أسفارها لطلب المال، ومَن كثرت أسفاره كان علمه بالمنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم أكثر وأتم. وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص، كأنه قيل: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون، فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم[٤].

**ووَجَّهه ابن عاشور** بأن أخص مَن يهتدي بالنجوم هم البحارة؛ لأنهم لا

---

(١) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (١٤/ ١٩٤)، و«تأويلات أهل السُّنة»، للمَاتُريدي (٦/ ٤٨٨)، و«المُحرَّر الوجيز»، لابن عطية (٣/ ٣٨٥).

(٢) «التفسير الكبير»، لفخر الدين الرازي (٢٠/ ١٩١).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١٢٢).

(٤) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (٣/ ٤٢٩)، و«التفسير الكبير»، للفخر الرازي (٢٠/ ١٩١)، و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للبيضاوي (٣/ ٢٢٢، ٢٢٣).

يستطيعون الإرساء في كل ليلة، فهم مضطرون إلىٰ السير ليلًا، وهي هداية عظيمة في وقت ارتباك الطريق علىٰ السائر؛ ولذلك قُدِّم المتعلق في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ تقديمًا يفيد الاهتمام، وكذلك بالمُسنَد الفعلي في قوله تعالىٰ: ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. وعدل عن الخطاب إلىٰ الغَيبة التفاتًا يومئ إلىٰ فريق خاص، وهم السيارة والملاحون؛ فإن هدايتهم بهذه النجوم لا غير(١).

**ويمكن أن يقال:** إن العلامات الظاهرة يَعرفها كل أحد، فما يخلو المخاطبون من إقرارها. وأما جميع النجوم فلا يهتدي بها إلا العَالِمون بمطالعها ومغاربها، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها، وذلك قليل في الآخِرين. وأما الثريا فلا يهتدي بها إلا مَن يهتدي بجميع النجوم(٢).

**ويؤيده** وروده بالخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٧] لأن المهتدين بعض المخاطبين، وهم منتفعون بعلم أَدِلّائهم من البُصَراء بمواقع النجوم، وكيفية الاهتداء بها في ظلمات البَر والبحر، فكان العلماء بهذا أبصر بتفصيل تلك الآيات من غيرهم؛ ولذا خُتمت الآية بقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]. والله أعلم.

فلو شاء الله تعالىٰ لجَعَل الأرض بلا مَعالِم ولا علامات، ولكنه سبحانه نَوَّع تضاريسها، فسَهَّل الاهتداء في طرقها، وأجرىٰ ناموس الفَلَك علىٰ سُنة مطردة وقانون مستقيم، فكانت الشمس دالة علىٰ الاتجاهات نهارًا، والنجوم دالة عليها ليلًا. وهذه نعمة عظيمة لمن تأملها.

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٤/ ١٢٢).

(٢) انظر: «أحكام القرآن»، لابن العربي (٣/ ١٢٨).

**ثم لما تَقدَّم البشر في العلوم التطبيقية**، هداهم الله ﷻ إلىٰ العلم ببعض قوانين الأرض وببعض خصائص دورانها، وموقعها من أجرام السماء، فاستغلوها في تصميم نُظُم المِلاحة ونُظُم تحديد المواقع؛ كنظام التموضع العالمي (Global position system GPS)، ونُظُم رسم الخرائط المتطورة ... ونحو ذلك. وغني عن القول: إن هذه القوانين قد اكتشفوها ولم يخترعوها، واكتشافهم لها نعمة من الله ﷻ وتوفيق.

**وقد أشارت سورة (النَّحْل) إلىٰ ذلك أيضًا، في** قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ﴾ [النحل: ٧٨]. فأودع فيهم القدرة علىٰ الاكتشاف والابتكار والاختراع- بما هَيَّأ لهم من فِطَر سليمة، وعقول مستنيرة، وقدرة علىٰ النظر والتعلم، والقياس، والتركيب والتجريب، وفوق كل ذلك هداهم إلىٰ اللغة التي يَكتبون بها أفكارهم ويتبادلونها، ولولا ذلك ما استطاعوا أن يصوغوا قانونًا، ولا أن يصلوا إلىٰ شيء من تلك المخترعات والمبتكرات.

**ومما يَدخل في هذا الضرب من النعمة- وهو كذلك- مما يمكن أن يستفاد من محاكاة الكائنات الحية**: هداية النَّحْل؛ كيف أنها تهتدي في سبلها، ولا تضل الطريق إلىٰ بيوتها، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٩]، يعني: مُذلّلة لكِ، فلا يَتوعر عليها مكان سَلكتْه. ويحتمل أن تكون الذُّلل من صفة النَّحْل؛ لأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها(١).

**وجدير بالذكر**: أن للنَّحْل طرقًا حَيرت العلماء، ولا تَزال تحيرهم، كيف تهتدي للعودة إلىٰ خلاياها بعد أن تبتعد عنها في أثناء جمعها للغذاء مسافات قد تصل لأكثر من خمسة أميال، وهي مسافة كبيرة جدًّا مقارنة بحجمها الصغير!

(١) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (١٤/ ٢٨٨)، و«النكت والعيون»، للماوردي (٣/ ١٩٩).

ويعزو بعض الباحثين ذلك إلىٰ قدرة النَّحْل علىٰ الاستفادة من حركة الضوء والشمس، ثم تَصنع حركات مخصوصة تدل بعضها بعضًا علىٰ أماكن الغذاء ومسالك العودة.

وبعضهم يعزوه لقدرة أدمغتها الفائقة علىٰ رسم خرائط لمساراتها ومواقع خلاياها، أو لكيماويات مُعيَّنة تفرزها فتدلها علىٰ الطرق التي سلكتها قبل، أو لقدرات جينية خاصة، أو غير ذلك مما تشير إليه الأبحاث الحديثة.

**الأمر الذي حدا ببعض الباحثين إلىٰ قوله:** «إنني منبهر بحقيقة أن هذه الحشرات ذات أدمغة بحجم حبة الأرز، ولديها عدد أقل من الخلايا العصبية بقدر مئة ألف مرة من دماغ الإنسان، ورغم ذلك تُسجِّل بدقة طرقها الملتوية، البالغة عدة كيلومترات في الغالب، ومِن ثَم لا تواجه مشكلة في الطيران المباشر إلىٰ بيتها مرة أخرىٰ، وهي مهمة لا يمكننا- نحن البشر- إتقانها إلا بمساعدة أجهزة (GPS) علىٰ الرغم من أدمغتنا الضخمة[1].

**فكان في مسالك النَّحْل وسُبلها التي تفردت السورة الكريمة بالنص عليها نعمتان:**

**الأولىٰ**- ما يستفيده البشر من محاكاة النَّحْل في كيفية اهتدائها في سبلها المسلوكة. وقد سبق الإشارة إلىٰ نظيره في الكلام عن المحاكاة الحيوية.

**الثانية**- أن اهتداء النَّحْل وغيرها من الكائنات في سُبلها فيه أمان للبشر. وسيأتي بيانه في ثنايا البحث إن شاء الله.

(1) How bees find their way home. Available at this link: https://www.lunduniversity.lu.se/article/how-bees-find-their-way-home. Last visit: 4/11/2020.

## المطلب الرابع

## الهداية بالكائنات إلى السُّبل غير الظاهرة

لعل في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩] إشارة إلىٰ نعمة الانتقال الجوي التي قَرَّبَتْ للبشر البعيد، وجعلت العالم الفسيح قرية واحدة.

**ونَظَرُ البشر إلىٰ الطير المُسخَّر في جو السماء عاد عليهم بفوائد عظيمة، مَهَّدَتْ لهم سبيل الطيران، ثم طَوَّرَتْه إلىٰ ما نراه اليوم من تقدم هائل، وما زالت تَعِد بالكثير، فمن هذه الفوائد:**

**الفائدة الأولىٰ:** أنها وَجَّهَتْ فِكر البشر نحو الطيران. وأغلب الظن أن البشر ما كانوا ليفكروا في الطيران لولا أنهم رأوا الطير في جو السماء غادية رائحة، وُحْدانًا وأسرابًا، صافاتٍ وقابضات، تطير بيُسر، وتحط بسلام. فكان من المنطقي أن يتطلع البشر إليها متأملين أن يطيروا مثلها.

**الفائدة الثانية:** ومع تفكر البشر في طيران الطير تنبهوا إلىٰ صلاحية القوانين الطبيعية التي أودعها الله تعالىٰ في جو الأرض، لأن تحتمل طيران البشر إذا استطاعوا أن يكتشفوا تلك القوانين، ثم يطوعوها بما يناسبهم، أو يطوعوا أنفسهم لما يناسبها.

**وانظر إلىٰ دقيق نظر الإمام الرازي إذ يقول تعليقًا علىٰ الآية:** «هذا دليل آخَر علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ وحكمته، فإنه لولا أنه تعالىٰ خَلَق الطير خلقة معها يمكنه الطيران، وخَلَق الجو خلقة معها يمكن الطيران فيه؛ لما أمكن ذلك»[١].

(١) «التفسير الكبير»، للفخر الرازي (٢٠/ ٢٥٢).

وإن القوانين والسُّنن الطبيعية التي فَطَر الله ﷻ عليها الكون، إذ صلحت لطيران الطير، فهي مُعبَّدة لطيران الآلات التي يصنعها البشر، ولو اختَلف بعض تلك القوانين لربَّما تَعسَّر عليهم الطيران أو استحال.

**الفائدة الثالثة:** ولم تقف قصة البشر مع الطير عند هذا الحد، بل استلهموا طريقة الطيران من طريقة طيران الطير، ووضعوا علمًا مستقلًّا في محاكاة الكائنات الحية، يُسمَّىٰ (علم المحاكاة الحيوية) وموضوعه التأمل في كيفية خَلْق الله تعالىٰ للكائنات، واستلهام ذلك في تصميم الآلات والأدوات التي تساعدهم في مآربهم[(١)]. وهو عِلم قديمٌ قِدَم استلهام ابن آدم طريقة الدفن من الغراب، غير أنه حديث بإرساء مناهجه وقواعده، وتواتر اجتناء فوائده.

---

(١) عِلم المحاكاة الحيوية يَشمل العديد من المفاهيم التي تَعني نمطًا مُعيَّنًا من أنماط محاكاة نُظُم الكائنات الحية واستلهامها، مثل Bionics، Biomimetic، Biomimicry، Bio-inspiration، فمنها ما يَنصَبّ علىٰ استلهام الهياكل والتصميمات الهندسية. ومنها ما يَنصَبّ علىٰ استلهام النُّظم الحيوية الداخلية والتفاعلات الكيميائية. علىٰ تفاصيل يَعرفها المتخصصون، وليس هذا مجال سردها.

**انظر للاستزادة:**

Biomimetics: forecasting the future of science, engineering, and medicine. International Journal of Nanomedicine 2015:10 5701–5713.

An overview of biomimetic robots with animal behaviors. Neurocomputing 332 (2019) 339–350.

**وفيما يتعلق بمحاكاة الطيور خاصة، واستلهام كيفية طيرانها في تطوير أنظمة الطيران، انظر:**

Biomimetic Flight and Flow Control: Learning from the Birds. J.F. Morrison et al. (eds.), IUTAM Symposium on Flow Control and MEMS, 443–447© 2008 Springer. Printed in the Netherlands.

Bird-mimetic Wing System of Flapping-wing Micro Air Vehicle with Autonomous Flight Control Capability. Journal of Bionic Engineering 13 (2016) 458–467.

**وعليه**، فالنظر ظاهر فيما ذهب إليه الإمام ابن عاشور من أن هذه الآية لم تُعْطَف علىٰ التي قبلها، فقال ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ [النحل: ٧٩]، ولم يقل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ لأنها ليس في مضمونها نعمة علىٰ البشر، ولكنها آية علىٰ قدرة الله تعالىٰ وعلمه، بخلاف نظيرتها في سورة (المُلْك): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]، فإنها جاءت في سياق آيات كلها مسوقة للدلالة علىٰ قدرة الله ﷻ. ولذلك المعنىٰ عُقبت هذه وحدها بجملة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩][(١)].

**ومَدخل النظر فيما ذهب إليه**: أن الآية الكريمة فيها للـمُتدبِّر ما أشير إليه من النِّعم وغيرها مما يَعلمه البشر[(٢)]، ومما سيعلمونه في مستقبلهم، ولا يَعلمه إلا الله ﷻ،

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ٢٣٤).

(٢) **من ذلك**: تعليم الإنسان بعض الطيور وتدريبها لاستخدامها في الصيد وفي نقل الرسائل.

**ومنه**: ما تضفيه من منظر بهيج علىٰ لوحة السماء، بألوانها وأشكالها البديعة وأصواتها العذبة.

**ومنه**: التغذي بلحمها وبيضها. ومنه استخدامها للزينة، واستخدام ريشها قديمًا للكتابة، وقديمًا وحديثًا حشوًا للوسائد والسُّرُر، وزينة في بعض الملابس.

**ومنه**: استخدام زَغَبها حديثًا عازلًا حراريًّا، علاوة علىٰ دورها في حفظ التوازن البيئي؛ لمكانها المميز في السلسلة الغذائية، الناتج أساسًا عن تنوعها وإشرافها من جو السماء علىٰ البيئات المتنوعة للكائنات الأخرىٰ، فهي تَغْشَىٰ ما لا يغشاه كثير من الكائنات غيرها.

**ومنه**: دَوْرها في نقل حبوب اللقاح بين أزهار كثير من النباتات.

فهذه بعض النِّعم المُرتَّبة - في الجملة - علىٰ تسخير الطير في جو السماء.

**ومما يناسب أن نَلفت الفكر إليه في هذا المقام**: اهتداء الطيور في سبلها خلال مواسم الهجرة، بحيث تصل إلىٰ أماكن معينة في أوقات معينة من السَّنة. واهتداء حَمام الزاجل في طرقها في أثناء حملها للرسائل، وتعتمد الطيور المهاجرة- وحَمام الزاجل خصوصًا- علىٰ آليات لتحديد المواقع والمسارات، كَشَف العلم - وما زال- عن تعقيدها البالغ. وقد كانت بدَورها مُلهِمًا للبشر في ابتكار كثير من التِّقنيات الحديثة.

فهي امتنان بالمعلوم، وتحضيض علىٰ كشف المخبوء، ولا يَنفي هذا ما ذَكَره الإمام ابن عاشور من أن فيها الإشارة إلىٰ القدرة الإلهية.

ولعل مجيء هذه الآية عقب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] تذكير ببعض ما يعود علىٰ الإنسان من منافع جليلة باستخدامه هذه الحواس استخدامًا صحيحًا، وهذا يكون من المؤمن والكافر إن تعاطىٰ المرء أسبابه؛ ولذا قُرئ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ [النحل: ٧٩] بالغَيْبة وبالخطاب(١).

ولكن موقع النعمة واضح جليّ للمؤمنين بأن فاطر السموات والأرض، وخالق الجو ومُسخِّر الطير ومُمسِكها فيه، ومُنظِّم القوانين ومجريها علىٰ سَنَن واحد- هو الله الواحد القهار، جل ذكره وتبارك اسمه؛ ولذا كان ختام الآية هو: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]. والله تعالىٰ أعلم. وهذا - لمن يتأمله - أعظم داعٍ للإيمان بالله تعالىٰ؛ كما سيأتي بيانه في المطلب التالي.

◆ ◆ ◆

(١) قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة وخَلَف بالخطاب، والباقون بالغَيْبة. انظر: «النَّشْر في القراءات العَشْر» (٥/ ١٧٧٤).

## المطلب الخامس
## انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر

(الإنسان يكتشف القوانين ولا يخترعها) تلك حقيقة قادت كثيرًا من الملحدين إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ.

**وإن متبع الدليل حيث قاده الدليل لَيتساءل:** من أين جاءت قوانين الطبيعة؟

**يقول (أنتوني فلُو) في رحلته من الإلحاد إلىٰ الإيمان:** «أؤمن بأن قوانين الكون المتشابكة المعقدة صعبة التحليل - تعكس ما أسماه العلماء عقل الإله»(١).

**ولم يَكتفِ (فلو) بهذا، بل كَتَب فصلًا ضافيًا في حجّه الفكري بعنوان (مَن كَتَب قوانين الطبيعة؟) وكان مما قال فيه:** «المسألة التي حيرت، ولا تَزال تُحيِّر غالبية العلماء المفكرين: كيف ظهرت قوانين الطبيعة؟!»(٢).

**ويَنقل (فلُو) عن (بول ديڤيز):** «إن العلوم الطبيعية لا يمكن أن تَمضي قُدُمًا إلا إذا تَبنَّىٰ العَالِم الطبيعي رؤية دينية أساسية عن كل الوجود. لا أحد يَسأل: من أين أتت قوانين الفيزياء؟ وحتىٰ أكثر العلماء إلحادًا يَقبل كنوع من الإيمان المتأصل بوجود نظام قانوني في الطبيعة، والتي هي مفهومة لنا في جزء منها ... رَكَّز (ديفيز) علىٰ توضيح أن قوانين الفيزياء موجودة فعلًا، وأن دور العلماء هو اكتشافها لا اختراعها»(٣).

---

(١) «هناك إله»، لأنتوني فلو (ص ٩٦).

(٢) السابق (ص ٩٩).

(٣) السابق (ص ١١٠، ١١١).

كانت هذه التساؤلات الفاصلة هي العامل الأساس في الحجّ الفكري لنبي الإلحاد في عصره (أنتوني فلو) فقاده ذلك إلىٰ الإقرار القاطع بأن هناك إلهًا.

**وتسخير القوانين نفسه نعمة عظيمة، تَفتح للمتدبر باب التعبد باسم الله الفاطر،** فهو الذي فَطَر المخلوقات جميعًا علىٰ نواميس لا تَنتقض، وسُنن لا تتخلف، ولو لم يكن ذلك كذلك ما استطاع الإنسان أن يكتشف قانونًا مُطَّردًا، يُعبِّد به طريقًا في البَر أو البحر أو الجو، ولا أن يَخترع آلة تَسير علىٰ نظام مُحكَم. فالقوانين الحاكمة لسير السفن في الماء، وللطيران في الجو وفي الفضاء المحيط بكوكب الأرض، وبسير المركبات علىٰ الطرق- كلها قوانين تَحكي فطرة الله التي فَطَر الكون عليها.

ولعل انقياد تلك المخلوقات بهذه القوانين هو نوع من السجود المذكور بقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٨- ٥٠].

وقد أشارت آيات السورة الكريمة، وغيرها من الآيات التي تناولت موضوع الطريق- إلىٰ هذه النعمة العظيمة بعبارات الخلق والجَعْل والتسخير، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ [النحل: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ [النحل: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النحل: ٧٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤]، فالآية تَذكر صراحة أنه لولا تسخير الله تعالىٰ هذه الطرق وتلك المراكب للبشر، ما كانوا ليستطيعوا تسخيرها، وما كانوا ليطيقوا ذلك.

**وقوله تعالىٰ: (مقرنين) يعني مُطيقين وضابطين.** تقول: قد أَقْرَنْتُ لهذا: أي

أطقتُه. وفلانٌ مُقْرِن لفلان: أي ضابط له(١). وقيل: إن اشتقاق اللفظة من قولهم: (أنا قِرْن لفلان) إذا كنتَ مِثله في الشدة. فإذا أردتَ السِّن قلت: (قَرْنه) بفتح القاف(٢).

وحاصل المعنىٰ: أن الإنسان ما كان ليَقدر علىٰ استئناس هذه الحيوانات، وهي تَفُوقه قوة، لولا أن سَخَّرها الله ﷻ له.

**وانظر بقلب الـمُعتبِر** إلىٰ الحمار الوحشي الذي هو من أقرب الحيوانات شبهًا بالحمار الأهلي، ورغم ذلك لا يستطيع البشر تسخيره للحَمْل والركوب كالحمار الأهلي؛ لأن الله تعالىٰ لم يَفْطُره علىٰ الانقياد كالحمار الأهلي، فلم يُطِق البشر تسخيره حتىٰ الآن، ولن يطيقوا ذلك مستقبلًا، إلا أن يشاء الله ويأذن لهم فيه بما يفتحه عليهم من العلوم والمكتشفات.

وهذا الحيوان المستأنس قد يَنْفِر أو يثور أو يَحْرُن؛ فلا يطيقه البشر، وإن اجتمع له ثُلَّة من أقويائهم.

**ونَقَل ابن قُتيبة عن المدائني** أن يزيد بن نهشل النهشلي ركب بعيرًا، فقال: اللهم إنك قلتَ: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، وإني لبعيري هذا لـمُقْرِن. فنَفَر به فطرحه، وبقيت رِجله في الغرز، فجَعَل يَضرب برأسه كل حَجَر ومَدَر حتىٰ مات(٣).

(١) انظر: «معاني القرآن»، للفرَّاء (٣/ ٢٨)، و«مجاز القرآن»، لأبي عُبيدة (٢/ ٢٠٢)، و«جامع البيان»، للطبري (٢٠/ ٥٥٩).

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن»، لابن قُتيبة (ص ٣٩٥).

(٣) «عيون الأخبار»، لابن قُتيبة (٢/ ٧١).

## المطلب السادس
## تذليل السُّبل للكائنات والمخلوقات الأخرى
## بما يَنفع البشر

لا تقتصر نعمة تذليل السُّبل علىٰ البشر وحدهم، بل للكائنات سُبلها المسلوكة في حياتها ونشاطها، وكثير منها يُسْدِي للبشر نعمة جليلة في أثناء نشاطه هذا، وتَنقُّله بين النباتات لجمع الغذاء، إذ يَحمل حبوب اللقاح من نبات لآخَر، فتُثمر النباتات وتُنتج المحاصيل.

**ومن تلك الكائنات الطيور والحشرات.** وقد أشار البحث إلىٰ نعمة هداية الطيور سُبلها، وما يترتب عليه من منافع جمة للإنسان، في المطلب الرابع.

**ويأتي النَّحْل في طليعة الحشرات النافعة للإنسان،** وبه سُمِّيَتِ السورة الكريمة. والنَّحْل من أهم الكائنات قيامًا بنقل حبوب اللقاح بين النباتات، وتشير الأبحاث العلمية إلىٰ أنه دُون النَّحْل ستتضرر إنتاجية (٨٠٪) من المحاصيل الغذائية حول العالم، وهو ما دَفَع كثيرًا من المتخصصين إلىٰ القول بأنه إن فُرِض انقراض النَّحْل فسينقرض البشر بعده بوقت قليل؛ تأكيدًا علىٰ أهمية تلك الكائنات النافعة للبشر(١).

ولعل هذا بعض ما تُنتجه الفكرة التي حثنا الله ﷻ عليها بقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ

(١) انظر علىٰ سبيل المثال:

Toward the protection of bees and pollination under global change: present and future perspectives in a challenging applied science. Current Opinion in Insect Science 2019, 35:123–131.

إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩]، فيضاف هذا إلىٰ النِّعم الظاهرة التي يسوقها الله ﷻ للبشر عن طريق النَّحْل؛ كالعسل وغيره من المنتجات. فسبحان الذي أعطىٰ كل شيء خَلْقه ثم هدىٰ.

## المطلب السابع
## جَعْل الطريق الحسي دلالة على الطريق المعنوي

من بديع النَّظم القرآني أنه يَعبُر بالمتدبر إلىٰ المعنوي عن طريق الحسي(١).

**فمثلًا:** يُذكِّر الحاجَّ المُتشوِّف لإعداد زاد السفر إلىٰ التزود بالتقوىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ويُرشد عند ذكره لنعمة اللباس والريش وما في أطوائهما من الحفظ والسَّتر والزينة- إلىٰ أن التقوىٰ خير ما يَتوقىٰ به الإنسان ويتجمل: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وهذا في القرآن كثير حقيق ببحثٍ مفرد.

ولـمَّا ذَكَر الله ﷻ في سورة (النَّحْل) نعمة تيسير السبيل، والحيوانات التي يركبونها، ويَبلغون عليها حاجة في صدورهم، وتَحمل أثقالهم إلىٰ البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة؛ عَطَف عليها التذكير بالسُّبل التي يسلكها الناس إليه، فبَيَّن أن الحق منها ما هي مُوصلة إليه، فقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

لأن سبيل الهدىٰ تَحْصُل به السعادة الأبدية. فـ(السبيل): مجاز لما يأتيه الناس من الأعمال من حيث هي موصلة إلىٰ دار الثواب أو دار العقاب. و(القصد): استقامة الطريق، وَقَع هنا وصفًا للسبيل مِن قَبيل الوصف بالمصدر؛ لأنه يقال:

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم»، لابن كَثير (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: السابق.

(طريق قاصد)، أي: مستقيم، و(طريقٌ قَصْد)، وذلك أقوىٰ في الوصف بالاستقامة، كشأن الوصف بالمصادر(١).

ولـمَّا كانوا في أسفارهم يقصدون أسهل الطرق وأقومها وأوصلها إلىٰ الغرض، ومَن عدل عن ذلك كان عندهم ضالًّا سخيف العقل غير مستحق للعدّ في عداد النبلاء؛ نَبَّههم علىٰ أن ما تَقَدَّم في هذه السورة قد بَيَّن الطريق الأقوم الموصل إليه ﷻ، وأخبرهم أنه أوجب هذا البيان علىٰ نفسه فضلًا منه، فقال تعالىٰ: (وعلىٰ)، أي: قد بَيَّن لكم الطريق القاصد، وعلىٰ (الله) الذي له الإحاطة بكل شيء (قَصْد السبيل) أي: بيان الطريق العدل، وعلىٰ الله بيان الطريق الجائر حتىٰ لا يُشَك في شيء منهما، فإن الطريق المعنوية كالحسية، منها مستقيم، مَن سَلَكه اهتدىٰ، (ومنها جائر) مَن سلكه ضل عن الوصول فهلك(٢).

ومنه يَعلم المؤمن أن الهداية إلىٰ الإيمان والحق بيد الله تعالىٰ، وأن سُبُل الاعتقاد منها جائر، كما أن السُّبُل الحسية منها جائر، وأنَّ تَحَرِّي القصد والهداية إلىٰ سبيل الحق وسؤال الله والتضرع إليه بالهداية- مَظِنة الاهتداء، كما كانت دراسة الطرق والخبرة بمسالكها وسؤال الخبراء العالمين بها- مَظِنة الاهتداء فيها.

**وإلىٰ نحو هذا المعنىٰ ألمح النبي ﷺ في وصيته لعليٍّ ؓ قال:** قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسَدِّدني، واذكر بالهدىٰ هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم**»(٣). فأَمَره ﷺ أن يَسأل الله تعالىٰ الهداية والسداد، وأن يكون في ذكره حاضرًا بباله أن المطلوب هداية كهداية مَن رَكِب متن الطريق وأَخَذ في المنهج

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «نَظْم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّوَر»، للبقاعي (١١/ ١١١، ١١٢).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ٢٧٢٥).

المستقيم، وسَدادٌ يشبه سداد السهم نحو الغرض. والمعنىٰ أن يكون في سؤاله طالبًا غاية الهدىٰ ونهاية السداد(١).

**ويمكن أن يلمح المُتدبِّر لسورة (النَّحْل)** وجوهًا من الشَّبَه بين الطريق الحسي وطريق الهداية، تجعله يَقطع بأن السورة الكريمة أوضحت سبيل الهداية أوضح بيان وأجمعه، فكما جَعَل الله تعالىٰ علامات علىٰ الطرق الحسية، جَعَل علىٰ طريق الخير أَدِلّاء وهم الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وأَخذه بعضهم من قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥، ١٦].

**قال ابن بَرّجَان:** «هذا وإن كان ظاهره تَعداد النعم وإظهار القدرة، فإن معناه أيضًا الدلالة علىٰ معرفة النبوة؛ إذ الجبال والسبل والأنهار والنجوم أمثال للأنبياء والرسل والأولياء والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالمهتدي مَن هداه الله. والذي كَتَب الله عليه الضلالة فليس له من هادٍ، ولو كان أحرص الناس عليه وأقربهم إليه مودة، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧].

---

(١) «الكاشف عن حقائق السُّنن»، للطيبي (٦/ ١٩٢٥).

(٢) «تنبيه الأفهام إلىٰ تدبر الكتاب الحكيم»، لابن بَرَّجَان (٣/ ٢٩٨)، وانظر «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١٢٢).

**وكما أن قُطاع السبيل يَصُدون عن الطريق الحسي، ويَعيثون فسادًا في أموال السالكين وأعراضهم،** فهناك مَن يَصُد عن سبيل الله إرصادًا وإفسادًا: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، فعذابهم فوق العذاب؛ لأن عليهم وزرهم وأوزار مَن أضلوهم بغير علم. كما أن قاطع الطريق الحسي يُعَرِّض الناس لأن يَضلوا بسلوكهم طرقًا أخرىٰ يَتوقَّونه بها، فلا يكتفي بإضاعة نفسه ولكنه يُعَرِّض الآخَرين للضياع.

وكما أن أَقْصَر الطرق بين موضعين الخط المستقيم، فلا بد أن تكون السبيل الموصلة إلىٰ الله ﷻ صراطًا مستقيمًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣]، فقد سَبَقك إمام في الطريق فوصل، فإذا اتبعتَ خطاه، وتَقصَّدتَ أنت ومَن تبعكَ طريقته المستقيمة الواضحة، وصلتم لا محالة.

وكما أن مِن إسعاد السائرين في الطريق الحسي تنويع سُبل الإرشادات وبَذْلها لهم، فمَن ضَلَّ بعد ذلك فلا عذر له؛ فكذا يجب أن تتنوع طرائق الإرشاد إلىٰ سبيل الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

**ومما يَلتحق بهذا الوجه في غير هذه السورة:** أن الله تعالىٰ جَعَل القُفول والعودة في الطريق تذكرة بالرجوع إلىٰ الله، وإليه ألمح قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤].

**قال الزمخشري:** «**فإن قلتَ**: كيف اتصل بذلك قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤]؟

**قلت**: كم مِن راكب دابة عَثَرَتْ به، أو شَمَسَتْ أو تقحمت، أو طاح مِن ظهرها فهلك! وكم مِن راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا.

**فلما كان الركوبُ مباشرةَ أَمْرٍ مُخْطِرٍ**(١)**، واتصالًا بسبب من أسباب التلف،** كان مِن حق الراكب، وقد اتصل بسبب من أسباب التلف- أن لا ينسىٰ عند اتصاله به يومَه، وأنه هالك لا محالة، فمُنقلِب إلىٰ الله غير منفلت من قضائه، ولا يَدَع ذكر ذلك بقلبه ولسانه؛ حتىٰ يكون مستعدًّا للقاء الله ﷻ بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه، ويستعيذ بالله من مقام مَن يقول لقرنائه: (تعالوا نتنزه علىٰ الخيل أو في بعض الزوارق) فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يَزالون يسقون حتىٰ تميل طُلَاهم(٢)، وهم علىٰ ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم، لا يَذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره.

وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يَشرب من بلد إلىٰ بلد بينهما مسيرة شهر، فلم يَصْحُ إلا بعدما اطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به. فكم بين فعل أولئك الراكبين، وبين ما أَمَره الله به في هذه الآية. وقيل: يَذكرون عند الركوب ركوب الجنازة»(٣).

**وقال ابن عاشور:** «وخُتِمَ هذا الشكر والثناء بالاعتراف بأن مرجعنا إلىٰ الله ﷻ،

---

(١) مباشرة أمرٍ مُخطِرٍ: أي تعرضًا للهلاك.

(٢) الطُّلىٰ: الأعناق.

(٣) «الكشاف»، للزمخشري (٥/ ٤٢٩، ٤٣٠).

أي: بعد الموت بالبعث للحساب والجزاء. وهذا إدماج لتلقينهم الإقرار بالبعث. وفيه تعريض بسؤال إرجاع المسافر إلىٰ أهله، فإن الذي يَقدر علىٰ إرجاع الأموات إلىٰ الحياة بعد الموت- يُرجَىٰ لإرجاع المسافر سالـمًا إلىٰ أهله.... وفيه إشارة إلىٰ أن حق المؤمن أن يكون في أحواله كلها ملاحظًا للحقائق العالية، ناظرًا لتقلبات الحياة نظر الحكماء الذين يستدلون ببسائط الأمور علىٰ عظيمها»[1].

(١) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٢٥/ ١٧٥).

## المطلب الثامن

## تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم

فَتَحَتِ السورة الكريمة آفاق الأمل للبشر، أن يأخذوا بأسباب العلم ليكتشفوا أسرار الكون الذي سَخَّره الله لهم، فأشارت إلىٰ ما يستحدثه البشر من المسالك، وسُبُل سَلْكها- بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

فما حَدَث بعد ذلك من المراكب مُنبَّأ به في هذه الآية، وهذا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، إخباره بالمُغيَّبات فتقع علىٰ ما أَخْبَر(١).

وذِكر الآية في مَعْرِض الامتنان بالمركوبات يدل علىٰ أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله ﷻ علىٰ عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالسيارات، والقطارات، والطائرات(٢).

وقد فسرها جمهور المتقدمين بأن المقصود بها ما يخلقه الله ﷻ مما لا يَعلمون من الخلق، أو ما يخلقه الله ﷻ في الجنة مما أعده لأهلها(٣).

واعتَرض ابن عاشور بأن ما يخلقه الله من المخلوقات في الجنة خاص بالمؤمنين، فالظاهر أنه غير مقصود من سياق الامتنان العامّ للناس، المسوق لإقامة الحجة علىٰ كافري النعمة. ثم استَظهر أن الآية من معجزات القرآن الغيبية، وأنها إيماء إلىٰ أن الله سيُلهِم البشر اختراع مراكب هي أجدىٰ عليهم من الخيل والبغال

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٢٩، ١٣٠).

(٢) انظر: «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن»، للشنقيطي (٢/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير (١٤/ ١٧٦)، و«النكت والعيون»، للماوردي (٣/ ١٨١)، و«التفسير البسيط»، للواحدي (١٣/ ٢١، ٢٢).

والحمير، كالعجلات والسيارات والطائرات. فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها مَن كانوا قبل عصر وجود كل منها(١).

وإنما لم يَذكرها الله بأعيانها؛ لأنه لا يَذكر في كتابه إلا ما يَعرفه العباد أو يَعرفون نظيره. وأما ما ليس له نظير في زمانهم، فإنه لو ذكره لم يَعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيَذكر أصلًا جامعًا يَدخل فيه ما يَعلمون وما لا يَعلمون. كما ذَكَر نعيم الجنة وسَمَّىٰ منه ما نَعلم ونشاهد نظيره؛ كالنخل والأعناب والرمان. وأَجْمَل ما لا نَعرف له نظيرًا في قوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، فكذلك هنا ذَكَر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨](٢).

**والفعل (يَخلق) يفيد التجدد والاستمرار، فهو يَصلح للدلالة علىٰ الحال**، أي: هو الآن يَخلق ما لا تعلمون أيها الناس، مما هو مخلوق لنفعهم وهم لا يَشعرون به، فكما خَلَق لهم الأنعام والخيل والبغال والحمير، خَلَق لهم ويَخلق لهم خلائق أخرىٰ لا يعلمونها الآن، فيَدخل في ذلك ما هو غير معهود أو غير معلوم للمخاطبين، وهو معلوم عند أمم أخرىٰ؛ كالفيل عند الحبشة والهنود، وما هو غير معلوم لأحد ثم يَعلمه الناس من بعد، مثل دواب الجهات القطبية(٣).

**كما يَصلح الفعل للدلالة علىٰ الاستقبال**، فيَدخل في عمومه كل ما يخلقه الله ﷻ، وما يُوفِّق البشر إلىٰ ابتكاره في زمن لاحق، فهو سبحانه الخالق له علىٰ التحقيق.

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١١١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»، للسعدي (ص ٤٣٦).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١١٠، ١١١).

**وفي هذه الآية الكريمة جملة نِعَم عامة، منها:**

- بَسْط الأمل فيما وراء ما يصل إليه الإنسان في أي مرحلة من تاريخ البشرية؛ إذ يبقىٰ ما تَعِد به الآية فوق كل غاية يصلون إليها، وبعد كل نهاية.
- إذكاء فضول البشر، وهو باعثهم علىٰ الاستكشاف، وتَقَفِّي أسرار الكون، فيَفتح لهم باب البحث والتجربة والابتكار. وإذا كانت الحاجة أم الاختراع، فالفضول أبوه.
- كَبْح كِبْر البشر، فمهما ظَنَّ أهل الأرض أنهم قادرون عليها، فالمؤمنون بأن الله القاهر فوق عباده يَعلمون أنهم مُقيَّدون في تسخيرها بإذنه، وأنهم مُستخلَفون فيها ليَنظر كيف يَعملون، وأنهم مُستخلَفون فيها إلىٰ حين، وأن إلىٰ ربهم الرُّجْعَىٰ.

**ومن الآمال المستقبلية المتعلقة بنعمة الطريق:** مزيد تيسير تعبيد الطرق البرية بما مُكِّنوا من مخترعات تشق صخور الجبال، وتَمخُر بحار الرمال، ومزيد تيسير تعبيد الطرق البحرية بشق القنوات، وتيسير السير في البَر والبحر والجو، بأنواع المركبات المستحدثة السريعة المُوطَّأة، وتطوير وسائل الأمان بها، وتطوير سبل الاهتداء، وتعيين المواقع والاتجاهات، واكتشاف آفاق جديدة في المحاكاة الحيوية، واستغلالها في تطوير وسائل الانتقال، وتذليل مصادر الطاقة المستحدثة، والتوسع في طَرْق الفضاء... وغير ذلك مما يَزيد المؤمن إيمانًا بقدرة الخالق الحكيم، وبصرًا بنعمة المنعم الرحيم، وقيامًا بحق تعظيمه وشكره، وطمعًا في مزيد فضله ومَنِّه وإنعامه.

**وعلىٰ الجانب الآخَر،** فقد جَرَتْ سُنة الله ﷻ بأن تَواتُر هذه النِّعم والفتوحات لا يَزيد الكافرين إلا بَطَرًا وكِبرًا، وتوهمًا أنهم قادرون علىٰ كل شيء، وأنهم إنما

أوتوه على علم عندهم؛ ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٤٩- ٥٢].

**والحمد لله رب العالمين.**

# الخاتمة

بعد هذا التَّطواف في رحاب نعمة الطريق ووجوهها ومعالمها، وبيان كيف تجلت من خلال الوحي الشريف، وتألقت في سورة (النَّحْل) يَطيب أن أختم الموضوع بخاتمة فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

## أولًا- أهم نتائج البحث:

**١ - تُعَد سورة (النَّحْل) من أكثر السور تَعدادًا للنِّعم، أصولها وفروعها. ويمكن استشفاف مَقصِد تعديد النِّعم والتذكير بها في السورة الكريمة من خلال عدة مظاهر:**

أ- معنىٰ الاسم المشهور للسورة، وسبب التسمية به.

ب-الأسماء الأخرىٰ للسورة الكريمة: النِّعم والنعيم والآلاء والامتنان، وكلها قائمة علىٰ ملاحظة الإنعام.

ج- كثرة دوران لفظ (نِعم) في السورة، فقد تكررت مادة (نعم) ومشتقاتها في السورة الكريمة ثلاث عَشْرة مرة، وهي أكثر سورة وردت بها.

د- إشارة السورة الكريمة لأصول النِّعم، وربما استوفت شرح فروع بعضها بما لم يَرِد في سورة أخرىٰ.

هـ- بعض فرائد النَّظم القرآني لسورة (النَّحْل) المتناسبة مع كونها سورة النِّعم.

٢-حق الطريق تعبير عن طائفة من الآداب والسلوكيات الشرعية التي أُمِرَ بها مستخدمو الطريق، وكفىٰ بفرض هذه الحقوق نعمة لمن يتأملها، بقيامها تُحفَظ

الحقوق، وتصان الدماء والأموال والأعراض والأوقات، وتَنتظم حركة البشر في سعيهم لقضاء مصالحهم.

٣- وقد أثمر التأمل في نعمة الطريق في القرآن الكريم من خلال سورة (النَّحْل) بيان بعض جوانب تلك النعمة ومعالمها، فمِن ذلك:

أ- نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها.

ب- تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها.

ج- نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.

د- الهداية بالكائنات إلىٰ السُّبل غير الظاهرة.

هـ- انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر.

و- تذليل السُّبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما يَنفع البشر.

ز- جَعْل الطريق الحسي دلالة علىٰ الطريق المعنوي.

ح- تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم.

## ثانيًا- أهم التوصيات:

١- تَبَنِّي العلماء والباحثين والدعاة تثوير وجوه النِّعم وتَدبُّرها في القرآن الكريم، وتقريبها لعموم المسلمين؛ فهو مفتاح النهوض بحقوقها، وباعثُها وناقلها من العادة إلىٰ العبادة، والحامل علىٰ تحري الإتقان والإحسان فيها، وتَرْك التضجر والتململ بالمواظبة عليها، بل يأتيها في كل وقتٍ طَيِّبَ النفس، منشرح الصدر، مُؤمِّل الأجر. وكثيرة هي النِّعم الحقيقة بذلك في القرآن الكريم عامة، وفي سورة (النَّحْل) خاصة؛ كنعمة الوحي، ونعمة تسخير الحيوانات، ونعمة الحواس... وغير ذلك.

٢- مَسَّ البحث بعض الموضوعات الأخرىٰ، التي يَرىٰ الباحث أنها حقيقة بدراسات مستقلة مُعمَّقة، ويرشحها لإخوانه الباحثين، من هذه الموضوعات:

أ- دلالة الفرائد اللفظية علىٰ مقاصد السور القرآنية، وكذا دلائل المواد اللُّغوية الأكثر دورانًا بها.

ب- توجيه فرائد المتشابه اللفظي في ضوء مقاصد السورة.

ج- منهج القرآن الكريم في العبور من المعاني الحسية إلىٰ المعاني المعنوية.

**وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

مجلة تدبر

# فهرس المصادر والمراجع

## أولًا- المراجع العربية:


١- «أحكام القرآن» ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله المُعافري (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

٢- «أساس البلاغة» الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).

٣- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني (ت ١٣٩٣هـ)، د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٤- «الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبان» الأمير علاء الدين علي بن بَلْبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

٥- «الأدب المفرد» البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولىٰ، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).

٦- «البحر المحيط في التفسير» أبو حَيَّان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، د. ط، دار الفكر، بيروت، (١٤٢٠هـ).

٧- «البرهان في علوم القرآن» الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرَيْن، الطبعة الأولىٰ، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م).

٨- «البرهان في متشابه القرآن» الكِرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، الطبعة الثانية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).

٩- «التبيان في إعراب القرآن» العُكْبَري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: سعد كريم الفقي، الطبعة الأولىٰ، دار اليقين، المنصورة، مصر، (١٤١٢هـ= ٢٠٠١م).

١٠- «التحرير والتنوير» ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

١١- «التفسير البسيط»، الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في خمس عَشْرة رسالة دكتوراه، بجامعة الإمام محمد بن سعود، أشرفت علىٰ نشره عِمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، (١٤٣٠هـ).

١٢- «التفسير الحديث» دروزة، محمد عزت (ت ١٩٨٤م)، د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٣٨٣هـ).

١٣- «التفسير الكبير = مفاتيح الغيب» فخر الدين الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ).

١٤- «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد، القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري، د. ط، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، (١٣٨٧هـ).

١٥- «التوقيف علىٰ مهمات التعاريف» المُنَاوي، زين الدين عبد الرءوف المُنَاوي (ت ١٠٣١هـ)، الطبعة الأولىٰ، عالم الكتب، القاهرة، (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م).

١٦- «الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح» ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن وآخرَيْن، الطبعة الثانية، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، (١٤١٩ هـ= ١٩٩٩م).

١٧- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدايم (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولىٰ، دار القلم، دمشق، (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م).

١٨- «السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير» الخطيب الشربيني، شمس الدين؛ محمد بن أحمد الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، د. ط، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، (١٢٨٥هـ).

١٩- «الفروق اللغوية» العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د. ط، دار العلم والثقافة، القاهرة، (١٩٩٨م).

٢٠- «الكاشف عن حقائق السُّنن» الطِّيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ)، د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولىٰ، مكتبة نِزار الباز، مكة المكرمة، (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

٢١- «الكتاب» سِيبَوَيْهِ، أبو بِشر، عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

٢٢- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل =تفسير الزمخشري» الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولىٰ، مكتبة العُبيكان، (١٤١٨هـ = ١٩٩٨م).

٢٣- «المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٢هـ).

٢٤- «المُذكَّر والمُؤنَّث» ابن الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عُضيمة، د. ط، طبعة المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).

٢٥- «المسند» ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخَرِين، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢١هـ= ٢٠٠١م).

٢٦- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» عبد الباقي، محمد فؤاد، د. ط، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٣٦٤هـ).

٢٧- «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولىٰ، دار القلم- الدار الشامية، دمشق - بيروت، (١٤١٢هـ).

٢٨- «الموسوعة الفقهية الكويتية» صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل، الكويت، من (١٤٠٤هـ) إلىٰ (١٤٢٧هـ).

٢٩- «النَّشْر في القراءات العَشْر» أبو الخير، محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. السالم محمد الشنقيطي، الطبعة الأولىٰ، مَجْمَع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (١٤٣٥هـ).

٣٠- «النكت والعيون= تفسير الماوردي» الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، د. ط، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٣١- «النهاية في غريب الحديث والأثر» ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد الجَزَري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، د. ط، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).

٣٢- «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجُمَل من فنون علومه» أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة باحثين بجامعة الشارقة، بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولىٰ، مجموعة بحوث الكتاب والسُّنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات، (١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م).

٣٣- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» البيضاوي، ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٨هـ).

٣٤- «تأويلات أهل السُّنة» أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود المَاتُريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م).

٣٥- «تفسير ابن أبي حاتم» عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة، الرياض، مكتبة نِزار مصطفىٰ الباز، الرياض، (١٤١٩هـ).

٣٦- «تفسير السمعاني» أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولىٰ، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م).

٣٧- «تفسير الشعراوي» الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، د. ط، مطابع أخبار اليوم، مصر، د.ت.

٣٨- «تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن كثير» ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).

٣٩- «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

٤٠- «تفسير المهايمي = تبصير الرحمن وتيسير المنان» المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم (ت ٨٣٥هـ)، د. ط، مطبعة بولاق، مصر، (١٢٩٥هـ).

٤١- «تفسير غريب القرآن» ابن قُتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م).

٤٢- «تنبيه الأفهام إلىٰ تدبر الكتاب الحكيم، وتَعرُّف الآيات والنبأ العظيم» ابن بَرَّجَان، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللَّخْمي الإشبيلي (ت ٥٣٦هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠١٣م).

٤٣- «تهذيب اللغة» الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهَرَوي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢٠٠١م).

٤٤- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» السعدي، عبد الرحمن بن ناصر

(ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م).

٤٥- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، دار هَجَر، القاهرة، (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

٤٦- «جَمَال القُراء وكمال الإقراء» السخاوي، عَلَم الدين، علي بن محمد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١٤١٩هـ= ١٩٩٩م).

٤٧- «جمهرة اللغة» ابن دُرَيْد، أبو بكر، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولىٰ، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٧هـ).

٤٨- «حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي» شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، الطبعة الخديوية (١٢٨٣هـ)، تصوير دار صادر، بيروت.

٤٩- «دُرة التنزيل وغُرة التأويل» الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠هـ)، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٦هـ= ١٩٩٥م).

٥٠- «دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني (ت ١٣٩٣هـ)، الطبعة الأولىٰ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (١٤١٧هـ= ١٩٩٦م).

٥١- «رُوح البيان» الإستانبولي، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٢- «زاد المَسِير في علم التفسير» ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٢٢هـ).

٥٣- «سُنن ابن ماجه» ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولىٰ، دار الرسالة العالمية، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).

٥٤- «سُنن أبي داود» أبو داود، سليمان بن الأشعث، السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق:

محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، المكتبة العصرية ببيروت، د.ت.

٥٥- «صحيح البخاري» البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الطبعة الأولىٰ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، (١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م).

٥٦- «صحيح مسلم» الإمام مسلم بن الحَجاج النَّيسابوري (ت ٢٦١هـ)، الطبعة الأولىٰ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، (١٤١٢=١٩٩١).

٥٧- «عيون الأخبار» ابن قُتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدِّينَوَريّ (ت ٢٧٦هـ)، اعتناء: د. يوسف الطويل، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

٥٨- «كتاب العين» [مرتبًا علىٰ حروف المعجم] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق وترتيب: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

٥٩- «كشف المعاني في المتشابه من المثاني» ابن جماعة، بدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق: د. عبد الجواد خلف، الطبعة الأولىٰ، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).

٦٠- «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي] أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: ناصر النجار، دون طبعة، مكتبة أولاد الشيخ، مصر، (٢٠٠٥م).

٦١- «مباحث التفسير» الرازي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن المُظَفَّر (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: حاتم بن عابد القرشي، الطبعة الأولىٰ، دار كنوز إشبيليا، الرياض، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).

٦٢- «مجاز القرآن» أبو عُبيدة، مَعْمَر بن المُثَنَّىٰ، التَّيْمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٣٨١هـ).

٦٣- «مجموع الفتاوىٰ» ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مَجْمَع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (١٤١٦هـ= ١٩٩٥م).

٦٤- «مشكل إعراب القرآن» أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق:

د. حاتم الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ).

٦٥- «معاني القرآن وإعرابه»، الزَّجَّاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السَّرِيّ بن سهل (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولىٰ، عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

٦٦- «معاني القرآن» الفَرَّاء، أبو زكريا، يحيىٰ بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).

٦٧- «معجم مقاييس اللغة» أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، د. ط، دار الفكر، (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).

٦٨- «مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة» ابن القيم، أبو عبد الرحمن، محمد بن بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، الطبعة الأولىٰ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (١٤٣٢هـ).

٦٩- «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل» الغَرْنَاطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد الفلاح، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م).

٧٠- «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر» البَقَاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ)، د. ت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م).

٧١- «هناك إله» أنتوني فلو، ترجمة: جنات جمال، الطبعة الأولىٰ، مركز براهين للأبحاث والدراسات، (٢٠١٧م).

## ثانيًا- المراجع الأجنبية:

1. Axel Decourtye, Cédric Alaux, Yves Le Conte, Mickaël Henry, Toward the protection of bees and pollination under global change: present and future perspectives in a challenging applied science, Current Opinion in Insect Science, 2019, 35:123–131. https://doi.org/10.1016/j.cois.2019.07.008.
2. Hwang J, Jeong Y, Park JM, Lee KH, Hong JW, Choi J. Biomimetics: forecasting the future of science, engineering, and medicine. Int J Nanomedi-

cine. 2015;10(1):5701-5713. https://doi.org/10.2147/IJN.S83642

3. Ranjan Vepa. Biomimetic Flight and Flow Control: Learning from the Birds. J.F. Morrison et al. (eds.), IUTAM Symposium on Flow Control and MEMS, 443–447. © 2008 Springer. Printed in the Netherlands.
4. Stanley Heinze. How bees find their way home. Available at this link: https://www.lunduniversity.lu.se/article/how-bees-find-their-way-home. Last visit: 4/11/2020.
5. Widhiarini et al.: Bird-mimetic Wing System of Flapping-wing Micro Air Vehicle with Autonomous Flight Control Capability. Journal of Bionic Engineering 13 (2016) 458–467.
6. Zihang Gao, Qing Shi, Toshio Fukuda, Chang Li, Qiang Huang. An overview of biomimetic robots with animal behaviors. Neurocomputing 332 (2019) 339–350. https://doi.org/10.1016/j.neucom.2018.12.071.

# فهرس الموضوعات

**ملخص البحث** .......................................... ٧٧

**المقدمة** .......................................... ٨١

**التمهيد** .......................................... ٨٦

المطلب الأول: نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها .................... ١١٠

المطلب الثاني: تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها..... ١١٤

المطلب الثالث: نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.......... ١٢١

المطلب الرابع: الهداية بالكائنات إلىٰ السُّبل غير الظاهرة ................. ١٢٦

المطلب الخامس: انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر .......... ١٣٠

المطلب السادس: تذليل السُّبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما يَنفع البشر .. ١٣٣

المطلب السابع: جَعْل الطريق الحسي دلالة علىٰ الطريق المعنوي ........... ١٣٥

المطلب الثامن: تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم ..... ١٤١

**الخاتمة** .......................................... ١٤٥

أولًا- أهم نتائج البحث .......................................... ١٤٥

ثانيًا- أهم التوصيات .......................................... ١٤٦

**فهرس المصادر والمراجع** .......................................... ١٤٩

أولًا- المراجع العربية .......................................... ١٤٩

ثانيًا- المراجع الأجنبية .......................................... ١٥٦

فهرس الموضوعات .......................................... ١٥٨

# TADABBUR MAGAZINE

*Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an*

Issue No. (10) Year 5 / Rajab 1442 AH, corresponding to February 2021

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

## TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contemplating the Noble Quran and its Impacts**
  Mohammed El amine Amir
- **Manifestations of the Blessing of Prepared Paths in the Light of the Surah Al Nahl**
  Mahmoud bin Abdel-Jaleel Rozan
- **The Rhetorical Aspects in the Surah Al Fatiha (An Analytical Study)**
  Dr. Mohammad Waseem Khan
- **The Quranic Verses Referring to the Affliction with Distress and Ailment in the Surah Al An'âm: (42-45) Commentary and Spiritual Conclusions**
  Dr. Musad bin Massad Al-Hussein
- **References to the Proprieties and Guidelines Contained in Muqaddimah Ash-Shaatibiyyah**
  Dr. Taariq bin Sa'eed Abu Rub'ah As-Sihli AL-Harbi
- **A report on a scientific thesis entitled "Contemplating the Noble Qur'an from the viewpoint of Imam Ibn Al-Qayyim, may Allah have mercy on him: A Fundamental Study",**
  Researcher Abdul-aziz bin Hussein Al-Wathlan
- **A report on Tadabbur Magazine for five years (from 1438 to 1442/2016-2021)**
- **A report on the First Tafseer (i.e. Quran Exegesis) Forum, held in the State of Kuwait entitled "Mathani", organized by the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs**

1658-7642

25 SR